أسطورة سيخريلس

مريم محمد عبد القادر

نوفيلا

أسطورة سيخريديس

مريم محمد عبد القادر

جَعلَ الإحسانَ لَهُ شَرعا، لَم يُخلِ الوادِيَ مِن مَرعى
فَتَرى زَرعاً يَتلو زَرعا ، وَهُنا يُجنى وَهُنا يُبذَر

.

جارٍ وَيُرى لَيسَ بِجارٍ ، لِأَناةٍ فيهِ وَوَقار
يَنصَبُّ كَتَلٍ مُنهارٍ ، وَيَضِجُّ فَتَحسَبُهُ يَزأَر

.

حَبَشِيُّ اللَونِ كَجيرَتِهِ ♡ ، مِن مَنبَعِهِ وبُحَيرَتِهِ
صَبَغَ الشَطَّينِ بِسُمرَتِهِ ، لَوناً كَالمِسكِ وَكَالعَنبَر

.

في حب نهر النيل
أحمد شوقي

مريم محمد
عبد القادر M.M

في زمن بعيد للغاية حيث البيوت الصغيرة المشيدة من الطوب اللبن والأخشاب المشتعلة تضفي شيئا من السنا في تلك القرى التي يتلفعها الظلام البهيم من جميع جوانبها ، كذلك هي الحياة البسيطة شبه البرية في العصور السابقة

وفي أحدى قرى أرض الكِنانة ناصرة الديانة مصر راعية الجَمال في رزانة ، وعلى ضفة هذا النيل ذا الماء السلسبيل الذي تتراقص حباته سويا على ألحان نسمات الهواء الرقيقة

جاءت موجة هوائية قوية ساخنة وكأنها الجحيم لتشتت تلك القطرات عن بعضها وتثير ذلك النيل النائم لتتلاطم امواجه وتتحرك كالإعصار وكأنها تتناغم مع الجو حولها الذي تحول من السكون الجميل الى عاصفة هوجاء

وفوق هذا الجبل الوَطِيدٌ رغم سنه هناك مجموعة من الرجال يرتدون ثياب غريبة تشبه الجلباب الرجالي وفوقه جبّة واسعة الأكمام

يصرخون حتى تقطعت أحبالهم الصوتية وهم يشاهدون أجيج تلك النيران التي تحيط بهم وتفتك بالأشجار وكل حي تطوله ألسنتها ، ينظر بعضهم

إلى بعض والذعر يملئ قلوبهم فمنهم من تمكنت النار من تمزيق جسده بأنيابها الناعمة ومنهم من سقط من فوق الصخور القاسية ليكون ضحية مخالبها المدببة ومنهم من ينزف جسده الدماء وكأن النهر يتدفق من بين أوصاله

والقليل منهم من تمكن من النجاة من تلك المذبحة يجلس على الأرض فقدماه لا تقوى على حمله وكأنه كهل اكل الشيب في عظامه رغم شبابه ، ينظرون الي السماء التي أدماها هذا القمر المشتعل باللون الدموي ليشهد على تلك الدماء السائلة على حبات رمال محبوبته

تدور أعينهم مع هذا الكائن أو ربما هو وحش ، بلا هو كذلك ، وحش ينظر إليهم من الأعلى بنظرات نارية والشر يقدح من عينيه ، مقسمًا داخله أنه سيقضي على من تبقى من هؤلاء البشر ليقوم بإتمام لوحته البشعة بلون دمائهم

رفع رأسه الي الأعلى وصرخ بصوت كاد يصم أذان الجميع ليُفزع قلوبهم وكأنه يحفر ذكرى تلك الليلة المُفجعة الدامية في عقول كل من سكن بهذه القرية

'*_____في الحاضر_____*'

شمس رياض عبد الله المسلمي

فتاة في الثامنة عشر من العمر ، اسم على مسمى فهي مشرقة تشع حيوية كالشمس ، قصيرة القامة ونحيفة كالأطفال ولكن ما يميزها هو شعرها الطويل البني الذي ورثته من عائلة والدتها ، فتاة لطيفة وطيبة القلب ولكن عيبها الوحيد هو فضولها وتهورها الذي سيودي بها الى الهاوية يوما ما

.

على متن ذلك القطار السريع المتجه إلى إحدى مدن الصعيد الحبيب المنيا العريقة عروس الصعيد ، تجلس شمس على الكرسي المجاور للنافذة وهي تلعب بهاتفها الحديث ألعاب الفيديو وتتناول قطع الشوكولاتة اللذيذة غير ابهة بهؤلاء الناس الجالسين حولها ويرمقونها بنظرات التعجب ، فبسبب هيئتها يظنها الكثيرون طفلة ، فكيف لوالديها أن يدعاها تسافر وحدها على متن القطار

أنهت شمس جولتها في تلك اللعبة الشيقة بنجاح باهر واخذت تصفق بيديها الصغيرتين بسعادة ، ثم نظرت

الي قالب الحلوى وتناولت قطعة كبيرة منه وكأنها تكافئ نفسها على انتصارها أمام أعدائها في الجولة

قاطع تصرفاتها المجنونة صوت – تلك السيدة التي كانت تراقبها طوال الطريق - تسألها بفضول : أين هم والديك يا صغيرتي ، كيف لهم أن يتركا طفلة مثلك وحيدة هكذا طوال الطريق ؟

رفعت شمس بندقيتاها الجميلتين ونظرت الي السيدة بتقييم ، فهي تعرف ذلك النوع من السيدات الفضوليات كما أخبرتها والدتها من قبل عنهم ولكنها أجابت برزانة مصطنعة : لكني لست طفلة يا سيدتي ، قد يبدوا جسدي ضئيل قليلا لكني في الحقيقة فتاة بالغة

حركت السيدة رأسها بتفهم واكملت اسألتها الفضولية : فهمت ، أخبريني إذن يا عزيزتي ما هي وجهتك ، رأيتك تستقلين القطار من محطة رمسيس في القاهرة ومازلتِ الي الآن جالسة تلعبين بذلك الهاتف الذي اكل عقول جميع شباب هذا اليوم

ابتسمت شمس باقتضاب وهي تحاول السيطرة على انفعالاتها لكي لا تنقض على تلك السيدة المزعجة وتنهال عليها بالصراخ : أنا متجهة الي المنيا

السيدة : أين تحديدا في المنيا ؟ ولماذا ؟ هل تعيشين هناك أم أنك ستزورين أحد أقاربك ؟

أنقذت صافرة القطار شمس من تدخلات تلك السيدة المزعجة وفضولها المذموم ، معلنة عن وصولهم الي محطة أحد مراكز المنيا

نهضت شمس بسرعة وهي تضب أغراضها بعشوائية داخل حقيبة يدها وتجذب حقيبتها الآخرى العملاقة نحوها وهي تقول : آسفة يا سيدتي على النزول الآن فقد وصلت إلى وجهتي ، أتمنى لك رحلة سالمة ، وداعًا

بدون زيادة كلمة آخرى فرت الفتاة من أمام السيدة وهي تجر حقيبة سفرها خلفها بسرعة حتى ترجلت من القطار وهي تتمتم بالكثير من الألفاظ المتذمرة ، ولكن سرعان ما تبدلت مشاعرها من الضيق الي الراحة والبهجة وهي ترى أرض بلدها الحبيبة بعد غياب دام لعام كامل ، فهي تعيش مع والديها في القاهرة وذلك لطبيعة عمل والدها كموظف في إحدى الشركات الكبيرة ، ولكنها لا تفوت صيفا إلا وقد عادت الى بلدها الأم لتقضي العطلة الصيفية عند

جديها لوالدتها ثم تعود الي القاهرة مع بدأ العام الدراسي الجديد

.

تيقظت شمس من شرودها إثر صوت رنين هاتفها الذي أضاءت شاشته برقم والدتها فتململت في وقفتها فتلك هي المرة العاشرة التي تتصل بها والدتها كي تطمئن عليها وتعرف اين أصبحت

.

هذه هي المرة الأولى التي تسافر بها شمس بمفردها فعادة كانت تسافر مع والديها أو والدتها فقط ولكن بسبب بعض المشاكل التي حدثت مع والدها في العمل لم يتمكن أحد من السفر معها وقد حاولت والدتها إقناعها بعدم الذهاب الي القرية هذا العام ولكن كان هذا من المستحيلات في قاموس شمس ، شعرت أنها سوف تحتضر إذا لم تذهب وتقضي العطلة بين حقول أرضها الحبيبة ، فأصرت على السفر وحدها وترجت والديها كثيرا حتى تمكنت من إقناعهم بعد أن استخدمت أقوى سلاح تملكه بل هو أقوى سلاح تمتلكه أي أنثى ألا وهو الدموع والامتناع عن تناول الطعام ، وبعد عنده أيام

متواصلة من العناد وافق والديها على تركها تسافر على أن يوصلاها الى محطة القطارات والاطمئنان عليها طوال الطريق

أجابت شمس على هاتفها وطمئنت والدتها أنها قد استقرت فوق أرض محافظتها أخيرا ولن تمضي الكثير من الدقائق حتى تكون بين أحضان جديها الحنونين

أنهت شمس محادثتها وجالت بنظرها في الأنحاء ثم تقدمت في طريقها حتى تمكنت من العثور على سيارة أجره تقلها للقرية التي يقطن بها جديها

*****

في أحد البيوت العتيقة وداخل هذا المطبخ المتواضع تسللت شُعَيّعَات شمس وقت العصر من تلك النافذة الكبيرة وهي تختلط بدفئ المكان ورائحة الفطائر التي إنسَلَّت من شقوق الفرن الحجري القديم ، تجلس أمامه تلك السيدة العجوز وقد زين وجهها المجعد من كثرة السنين التي مرت عليه ، ابتسامة مشرقة دافئة ، فهي تعد الفطائر المحلاة بالسكر لحفيدتها اللطيفة التي تعشقها لترحب بها بأفضل طريقة

قاطع شرود العجوز صوت خليل روحها الذي يبعث على الأمان : أراكِ شاردة الذهن كعادتكِ ، هل تفكرين في شمس هذه المرة ؟

استفاقت العجوز من شرودها ونظرت لحبيبها بابتسامة هادئة : نعم أفكر في شمس ، قلبي تتسارع نبضاته كلما فكرت أنها قادمة الي هنا ، كم أن وجودها يعيد لروحي بهجتها ويملئ أيامي بالنشاط والحياة

جلس الجد فهيم بجانب زوجته طاهرة وربت بلطف فوق منكبها : إنك محقة ، شمس تضب الحياة في المنزل وتضيئ أيامنا الكهلة بشمس شبابها وحيويتها ، رغم كونها مشاغبة وتتسبب بالكثير والكثير من المصائب إلا أنى أنتظر من العام لأخية حتى اشبع روحي بدفئ روحها وآنس بوجودها بيننا

ضحك الزوجين بهدوء وهما يستذكران مشاغبة حفيدتهما ويسترجعان ذكرياتهم الرقيقة معها

قطع تلك اللحظات الجميلة ذلك الطرق المزعج للغاية على باب المنزل ، ومن يكون غيرها تلك الشقية المزعجة ، كانت تطرق الباب بكلتا يديها وهي تلحن

وتغني كالمجانين وجميع المارة ينظرون إليها بتعجب واستنكار

أسرع الجد فهيم الى الباب ليفتحه حتى يوقف تلك المجنونة عن أفعالها الصبيانية

ولكن بمجرد فتحه للباب وجد محبوبته تقفز من مكانها لتستقر داخل أحضانه وهي تتنهد بارتياح : اشتقت إليك كثيرا يا قرة عيني

أبتسم الجد بحب وهو يضم صغيرته الجميلة الي صدره لكي يروي روحه من دفئ روحها

خرجت الجدة طاهرة من مطبخها لترى حفيدتها قد أنارت منزلهم فقالت باشتياق : حبيبتي الغالية شمس أخيرا أتيتِ

ركضت شمس تجاه جدتها لتعانقها بحرارة وهي تستنشق عبيرها الذي يبعث على السكينة والاطمئنان : لقد اشتقت إليكِ كثيرا يا غاليتي

طاهرة : وأنا أيضا اشتقت إليك كثيرا ، ظننت أنك لن تأتي لزيارتنا هذا العام بسبب الأزمة التي يمر بها والدك ولم أصدق نفسي عندما أخبرتني إنك قادمة بمفردك

قامت شمس بتقبيل يد جدتها : ما الذي تقولينه يا جدتي ، لا يمكن أن يمر عام علي دون القدوم الى هنا وقضاء بعض الوقت معكم ، الأيام القليلة التي اقضيها هنا من أجمل أيام حياتي ولا يمكنني التخلي عنها بسهولة هكذا

ابتسمت الجدة برضا فهذه الفتاة البريئة لا تكف عن إدخال السرور الي قلبها بكلماتها الدافئة تلك

طاهرة : إذا اخبريني كيف تمكنتِ من إقناع والديك بالسفر وحدك ؟

ابتسمت شمس بمشاغبة وهي تتذكر ما فعلته وقالت وهي تتجه نحو المطبخ : سأحكي لكم كل شيء بالتفصيل ولكن أولا أنا جائعة للغاية ورائحة الفطائر الطازجة تلك تذهب عقلي

لحقت بها الجدة وهي تقول بسعادة وحيوية وكأنها عادت شابة : أعرف أنك تحبين الفطائر التي أعدها لذا صنعت لك الكثير منها

وثبت شمس بسعادة وهي تعانق جدتها : أنا أحبك حقا يا جدتي

ضحك الجد فهيم وهو يقول : كل هذا لأجل الفطائر ؟

شمس : أنا حقا أحب فطائر جدتي ، أظن أنني استطيع تناول فطائرها طوال اليوم دون الممل منها

فهيم : أصبتِ القول يا ابنتي ، جدتك هي سيدة الطهي في قريتنا ، لا أحد يمكنه التفوق عليها فيه ابدا

طاهرة : كفاكما حديثا وهيا إلى الطعام لقد أعدت الكثير من الأصناف لابد أنكِ جائعة للغاية يا صغيرتي بعد تلك الرحلة الطويلة

.

توجهوا جميعا الي طاولة الطعام وشرعوا في تناول الغداء وهم يتسامرون وينسجون المزيد من الذكريات الجميلة

وبعد الغداء جلست شمس مع جديها في بهو المنزل تسرد عليهم كل ذكرياتها في العام الماضي وما حدث معها وظلت تثرثر كثيرا كعادتها والجدين يستمعان إليها باهتمام بالغ وكأنها تتحدث أن أمور مهمة

وبعد هذا اليوم الطويل المرهق صعدت شمس الي غرفتها في الطابق الثاني من منزل جدها العتيق ، ضبت اغراضها داخل خزانة الملابس والمكتب واضافت لمستحها الحيوية في جميع أنحاء الغرفة ثم توجهت نحو غرفة الاستحمام لتنعم بحمام بارد تزيل

به كل إرهاق اليوم وتعب السفر ، ثم قامت بارتداء بيجامة مريحة ومشتط شعرها الطويل ثم احتضنت فراشها الناعم لتغرق سريعا في نوم عميق وهي تستمتع بنسمات الهواء الدافئة التي تداعب وجنتيها برقة ورائحة الأشجار والزهور في الارجاء

.

كانت حقا ليلة هادئة ومريحة

*****

في صباح اليوم التالي استيقظت شمس إثر غناء العصافير بجانب نافذة غرفتها ورائحة ندى الصباح العليل

نهضت من الفراش وتوجهت نحو النافذة لتقوم بفتحها وعيناها تحلق هنا وهناك ، السماء الصافية والأشجار الضخمة الطيور الصغيرة ترفرف والزهور ترقص واخيرا هذا الجبل بديع المنظر أمامها ، كل شئ هنا في تلك القرية الجميلة يشعر شمس بالانتعاش

ألقت نظرة واسعة للمنظر الجمالي أمامها وهناك رغبة ملحة داخلها تدفعها للخروج والتجول فوق هذا البساط الأخضر الممتد على مد البصر

ابتسمت شمس بحماس وهي تهرول في الأرجاء لتبدل ثيابها وتستعد للنزول من غرفتها ، ثم توجهت مباشرة نحو رائحة المخبوزات الزكية التي تعدها جدتها : صباح الخير

طاهرة : صباح الخير صغيرتي ، هل نمت جيدا يا حبيبتي ؟

شمس : اجل ، ماذا تفعلين ؟

طاهرة : لقد صنعت لك كعكة التفاح التي تحبينها

قفزت شمس بسعادة وهي تصفق بيديها : حقا يا جدتي ، هذا رائع

ضحكت طاهرة وهي تشاهد طفولة حفيدتها اللطيفة ثم أردفت : لنتناول الإفطار ، نادي على جدك ، ستجدينه عند ملحق الماشية

همت شمس في الركض بحماس خارج المنزل وهي تهتف : يال الروعة لقد اشتقت حقا لتلك المخلوقات

اللطيفة ، سأذهب لألقي عليهم التحية ، انتظريني يا جدتي

ثم صدحت بصوات مرتفع : أنا قادمة يا اصدقائي الأعزاء

.

قهقهت طاهرة وهي تكمل إعداد الإفطار بينما ركضت شمس متجهة الي ملحق الماشية ، نظرت من خلال الباب المفتوح وهي ترى الماشية تقف في أماكنها فهرولت إليهم وهي تتحدث معهم وكأنهم بشر

شمس : مرحبا أيتها البقرة الجميلة

مسدت فوق رأسها بحنو ليقترب منها زوجها الثور فابتسمت شمس بوله : يا إلهي ، هل تغار على زوجتك ايها الثور ، ياالك من زوج رائع

صهل الفرس الواقف خلف شمس بشدة فنظرت اليه والابتسامة تشق ثغرها : لا أصدق ما تراه عيناي ، ملكة الثلج لقد كبرتي كثيرا

اقتربت منها وهي تعانقها بحب لتقوم الفرس بإناخة عنقها وكأنها تبادلها العناق الدافئ

تحدثت شمس بهدوء وهي تمسد فوق رقبة الفِلْوَة البيضاء بحنان : لقد اشتقت إليكِ كثيرا يا ملكة الثلج ، مر عام مذ رأيتك آخر مرة ، كنتِ لا تزالين صغيرة للغاية والآن عدت إليكِ وقد اشتد عودك وازداد جمالكِ

قاطع لحظاتهم الهادئة ذلك الأرنب الذي ظهر فجأة وظل يقفز هنا وهناك فهاجت الفرس وابتعدت عن شمس وهي تصهل وترفع اماميتاها بقوة

شمس : اهدئي يا حبيبتي لا تخافي أنا بجانبك

ولكن للأسف لم تهدأ البيضاء فنظرت شمس الي الأرنب والشر يقدح من عينيها : يبدوا أننا سنتناول لحم الأرانب على الغداء اليوم

فور أن أنهت كلماتها شرعت في الركض خلف الأرنب وهو يقفز بسرعة وقوة بين الماشية التي هاجت واصدرت الخوار العالي

ظلت شمس تركض خلف الأرنب لبضع دقائق وعندما كادت أن تحكم قبضتها عليه ارتطمت بجدها الذي جذبه صوت البقر

فهيم : ما الذي تفعلينه يا صغيرتي ؟ ولماذا تركضين هكذا ؟

أجابته شمس وهي تلهث من التعب : ذلك الأرنب اللعين لقد أخاف ملكة الثلج خاصتي وكنت أحاول اللحاق به

استقامت في وقفتها وهي تزيل قطرات العرق بأناملها : لكن يبدوا أنه تمكن من الفرار

اقترب الجد من البيضاء ومسد فوق جسدها لتهدأ : لا بأس عليكِ يا صغيرتي لا بأس ، لقد زال الخطر ، لا تقلقي

هدأت الفرس بين يدي الجد واستكانت لتنظر إليه شمس بإعجاب : أنت رائع يا جدي لقد تمكنت من تهدئتها بسهولة ، كيف فعلت هذا ؟

أبتسم الجد وهو ينظر الى خيله الجميلة بعيون لامعة : إنها خبرة السنين يا شمس ، لقد قضيت عمري كله بين تلك الحيوانات اللطيفة حتى تمكنت من فهمهم جيدا كأنهم أبنائي ، أشعر بما يشعرون وافهم مالا يستطيعون النطق به ، الحيوانات يا شمس تمتلك حس مرهف وقلب رحيم أكثر من بعض البشر ، قد لا تسطيع النطق كالإنسان والتعبير عما بداخلها ولكن نظراتهم تعبر عما يشعرون به

نظرت شمس الي عيني ملكة الثلج وابتسمت عندما رأت نظرتها الجميلة لجدها : عليك أن تعلمني كل شئ تعرفه يا جدي

فهيم : سيكون الأمر شاق عليكِ

شمس : كلا لن يكون ، سأجتهد وسأتعلم بسرعة صدقني

فهيم : إذا اتفقنا ولكن الآن دعينا نعود إلى البيت لنتناول الإفطار

قامت شمس بإمساك يد جدها الذي بادل كف يدها دفئ حضنها وشرعا في السير معا متجهان إلي المنزل

فهيم : حبيبتي شمس

شمس : تفضل يا جدي

فهيم : لقد ارتكبتِ خطأ ما اليوم هل تتذكرين ما هو ؟

نظرت شمس بتيه إلي جدها فهي لم ترتكب أي خطأ منذ استيقاظها : لا أتذكر ، أنا لم ارتكب أي خطأ اليوم

فهيم : قبل قليل كنتِ تركضين خلف الأرنب وعندما فر منك قمت بلعنه

شمس : صحيح لقد تذكرت ، ولكن ما الخطأ في هذا ؟

فهيم : الخطأ أنك قمت بلعن الأرنب المسكين ، أتعلمين أن اللعن محرم في الإسلام

نظرت شمس الي جدها وهناك الكثير من علامات الاستفهام تدور حول رأسها : أيمكنك أن توضح الأمر لي اكثر فأنا لم أفهم

وضع الجد فهيم ذراعه حول منكبي شمس وضمها لصدره وشرع في توضيح كلامه : اللعن يا صغيرتي هو الدعاء على الغير بالطرد والإبعاد من رحمة الله وهو من أعظم وأشد آفات اللسان ومن الذنوب العظيمة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها وحذر منها ،. فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتُغلق أبوابُها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فإذا لم تجد مساغاً رجعت

إلى الذي لعن فإن كان لذلك أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها) ، هل تفهمين معنى هذا الحديث الشريف ؟

حركت شمس رأسها يمنة ويسره : كلا لم أفهم يا جدي

فهيم : سأوضح لكِ أكثر ، معنى هذا الحديث خطير للغاية فهو يتحدث عن الشخص الذي يلعن شيئا ما سواء أكان إنسان أو حيوان أو جماد أو حتى الرياح العابرة ، الحديث فيه وعيد شديد على من لعن مَنْ ليس أهلا للعن ، فإن اللعنة تتحول في السماء والأرض واليمين والشمال ثم ترجع في النهاية إلى قائلها إذا لم يكن الملعون أهلا لها

شمس : يالهي أهذا صحيح يا جدي ؟

فهيم : أجل هو كذلك يا صغيرتي ، وهناك الكثير من الأحاديث الأخرى التي تتحدث عن تحريم اللعن ، ومن الرحمة بالحيوان يا شمس في هدي نبينا صلى الله عليه وسلم أنه لا يجوز تعذيبه ولا تجويعه أو تكليفه ما لا يطيق بل وتحريم لعنه أيضا

شمس : وما العمل الآن يا جدي ؟ كيف اصلح ما قمت به

فهيم : الواجب على من لعن شيئا أن يتوب إلى الله تعالى ويكف لسانه عن مثل ذلك ويعزم على عدم العودة إلى ذلك مرة أخرى ، وفي النهاية تذكري حديث نبي الله صلى الله عليه وسلم : ليس المسلم بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء ، فمن صفات المسلم حسن لسانه فلا يسب ولا يلعن ولا يُرى منه اي قبيح ، هل فهمت يا حبيبتي ؟

اومأت شمس رأسها بفهم واستغفرت ربها ثم قامت بتقبيل يد جدها : لقد فهمت يا جدي ، لن أفعل هذا مرة أخرى

ربت الجد فوق ظهر صغيرته وولجا معا الى المنزل لينضما الى الجدة طاهرة في تناول الإفطار

.

بعد الانتهاء من تناول الإفطار ساعدت شمس جدتها في تنظيف الصحون ثم خرجت من المنزل لتتجول في القرية ، قابلت الكثير من القرويين والأطفال

كان الجو هادئ وكانت شمس سعيدة للغاية وهي تتجول بين الحقول وتستمتع بجمال منظرها وعبيرها الساحر

بعد الكثير من اللعب والتجوال عادت شمس الى المنزل لتقضي بعض الوقت بين أحضان جديها

*****

ظلام دَيْجُور يطوق المكان يتخلل كل ذرة منه زمهرير بَئِيس تآلف مع هذا الصرير المدوي في الأرجاء بسبب السلاسل الحديدية الضخمة

.

أحدهم يجلس في مركز المكان وهو يلهث بتعب ويتمتم بصوته الأجش الغليظ : سأنتقم منكم جميعا ، أقسم أني سأنتقم

ثم صاح بأعلى صوته حتى تشققت حنجرته وآلمته أحباله الصوتية

*****

في صباح يوم جديد يوم أخر جميل قد أطل ومنزل الجدين تحيطه هالة جميلة من الدفئ والسعادة

طاهرة : عزيزتي شمس هل يمكنني طلب خدمة منكِ ؟

شمس : بالتأكيد يا جدتي كلي آذان صاغية

وضعت الجدة طاهرة صندوق مصنوع يدويا من القش ، فوق الطاولة ثم أردفت : لقد أخبرني جدك أنه سيتأخر اليوم في الحقل وأريدك أن تذهبي إليه بصندوق الغداء ، ما رأيك ؟

نهضت شمس بحماس : رائع ، انتظري دقيقة سأبدل ثيابي وأعود بسرعة

صعدت شمس الي غرفتها وبدلت ثيابها ، ارتدت بلوزة صيفية حمراء اللون وسروال باللون الأبيض وقامت برفع شعرها الطويل الي الأعلى وهبطت مرة أخرى لجدتها : ها أنا ذي ، أعطيني الصندوق

مدت الجدة طاهرة يديها بالصندوق الذي تناولته شمس منها

طاهرة : كوني حريصة عليه ولا تركضي هنا وهناك فأنا أعرفك

اجابتها شمس بمرح : لا تقلقي أبدا ، سأكون فتاة ناضجة للغاية

ودعتها ثم خرجت من المنزل مسرعة وظلت تتجول في الأرجاء وتهرول كالمجانين متناسية وصية جدتها لها

.

اخيرا وصلت شمس عند الحقول ، مساحات خضراء على مد البصر ، شكلها البديع وتناغم لونها مع زرقة السماء وتراقص الثمار مع نسمات الهواء الدافئة ، هذا المشهد الخلاب قد أخذ بعقل شمس

ركضت بسرعة متجهة نحو المراعي المجاورة للحقول وتسلقت السور الخشبي المحيط بالمرعى - حتى لا تضل الماشية طريقها – أغمضت عينيها وفتحت كلتا ذراعيها وكأنها تحتضن الهواء والطبيعة واخذت أكبر قدر ممكن من الهواء لتستمتع بنقائه ورائحته العطرة ثم أزالت الستار عن بندقيتاها ليقع نظرها على جدها الواقف على بعد مسافة ليست بالبعيدة منها فقفزت من فوق السور الخشبي وركضت باتجاه جدها وهي تلوح بيدها وصدحت بصوت عالي : جدي أنا هنا ، لقد أحضرت الغداء لك

نظر الجد حوله ليبحث عن مصدر الصوت الذي يعرف صاحبته جيدا لينخلع قلبه عندما يسمعها تصرخ بقوة وهي تستغيث به

لفت صراخ شمس انتباه جميع المزارعين فتوقفوا عما يفعلون ونظروا إليها ليهالهم ما يحدث ، شمس تركض بقوة وهناك أحد الثيران يركض خلفها واوشك على إصابتها بقرونه المدببة

هرول جميع الرجال بسرعة تجاه شمس لينقذوها من الثور الهائج وهي تصرخ والعبرات تتساقط من مقلتيها

شمس : جدي ساعدني ، جدي النجدة

لم تدرك شمس ماذا عليها أن تفعل لكي تنجو بحياتها حتى اقتربت من شجرة عملاقة فراودتها فكرة كانت كطوق النجاة لها ، ألا وهي تسلق الشجرة وقد ساعدها خوفها على تنفيذ الفكرة بالفعل

ظلت شمس متمسكة بأحد أغصان الشجرة وماتزال عيناها تزرف الدموع وهي ترفع ساقيها تارة وتأرجحها تارة أخرى تحاول منع الثور الواقف بالأسفل منها أن يصل إليها

مرت بضع دقائق تمكن فيها المزارعين من تهدئة الثور والابتعاد به عن شمس التي تتمسك بخصن الشجرة وكلتا يديها ترجفان بقوة من شدة الألم

وقف الجد فهيم أسفل الشجرة وهو ينظر إلي حفيدته بقلق وخوف عليها من أن يصيبها أي مكروه ، مد ذراعيه للأعلى وهو يصدح : اهبطي يا شمس ، اقفزي يا حبيبتي سوف أمسك بكِ لا تقلقي

أجابته شمس ببكاء : المكان مرتفع هنا ، لا يمكنني القفز

ازداد قلق الجد على محبوبته الصغيرة ولكن هدأه أحد الشباب الأشداء وهو يقترب من الشجرة : لا تقلق يا سيد فهيم سأحاول انقاذها

فهيم : أرجوك ساعدها يا هيثم يا ولدي

أومأ هيثم رأسه بطاعة وقام بتسلق الشجرة ببراعة واقترب من شمس وهو يخاطبها بلطف حتى لا ترتبك وتسقط

هيثم : أيمكنكِ الإمساك بيدي ؟

قالها هيثم وهو يمد يده في محاولة للوصول الي شمس التي أجابت بتوتر : لا يمكنني التحرك انشا واحدا

ثم صرخت عندما تفلتت إحدى يديها مما دفع هيثم إلي الاقتراب منها بسرعة وقام بتطويق يدها الأخرى بيده بسرعة وقوة قبل أن تسقط

تنهد الجميع براحه بعد تلك الموجة المرعبة من المشاعر التي هاجمتهم قبل قليل وقام هيثم برفع شمس بكل ما أوتي من قوة وانقذ حياتها وأخيرا هبط بها واستقر الجميع فوق العشب

قام الجد فهيم بضرب شمس على ظهر كفها الصغير وهو يعنفها : يالك من فتاة متهورة ، كم مرة أخبرتك ألا تفتعلي المشاكل ؟

طأطأت شمس رأسها بخجل وهي تتمتم : أنا آسفة

صمتت هنيهة ثم أردفت وهي ترفع رأسها مرة آخرى : لكني لم أكن السبب هذه المرة

أشارت إلى ثيابها في محاولة بائسة منها للدفاع عن نفسها : لقد ركض الثور خلفي بسبب اللون الأحمر

انفجر الجميع في الضحك فور نطق شمس بتلك التراهات وحرك الجد فهيم رأسه بفقدان الأمل في تلك المجنونة

شمس : ما الأمر ما المضحك فيما قولت ؟

أجابها هيثم وهو يحاول إخفاء ابتسامته : ألا تعلمين أن الثيران لا تستطيع رؤية اللون الأحمر أساسا

نظرت شمس إليه ببلاهة ثم أردفت : لا يمكن هذا لقد رأيت في أفلام الكرتون مصارع الثيران يستخدم علما لونه أحمر ليغضبه ويجعله يركض

تعالت ضحكات الجميع مرة أخرى فأجابها الجد فهيم هذه المرة ليوضح لها : يمكن لمصارع الثيران أن يستخدم علم باللون الوردي أو الارجواني لإغضاب الثور وليس بالضرورة العلم الأحمر فالثور لا يغضب بسبب اللون بل إن حركة العلم نفسه هي التي تتسبب في إغضابه ، ويعتبر السبب الحقيقي وراء استخدام مصارع الثيران للعلم الأحمر هو إخفاء الدم عن الثور ليس إلا

ثم قام بصفع جبهتها بخفة بإبهامه : فسبب مطاردة الثور لكِ أنك ركضت أمامه كالمجنونة

استمرت الضحكات في التعالِ وشمس تشعر بالخجل من موقفها أمام الجميع ولكن لا بأس فالحياة تجارب وها هي ذي حصلت على معلومة جديدة إثر هذه التجربة المميتة

*****

تمر الأيام تباعا وشمس ماتزال تقيم في منزل الجديين ولا تنفك عن افتعال المصائب واحدة تلو الأخرى كعادتها

أقبل فصل الخريف بهوائه المائل إلى البرودة وطقسه المضطرب وبدأت أوراق الشجر في التساقط

كانت شمس جالسه في غرفتها بجانب النافذة وهي تحاول إمساك أوراق الأشجار التي تتساقط من فوقها قبل أن تهبط على الأرض وكادت أن تمسك الورقة بالفعل ولكنها فشلت بسبب تلك الرياح التي هبت فجأة

أغمضت شمس عينيها بقوة حتى مرت الرياح ثم عاودت فتحهما من جديد وهي تنظر أمامها إلي هذا الضخم الشامخ بهدوء صاخب

إنه الجبل في نهاية الغابة الصغيرة الموجودة غرب القرية ، طرق باب عقلها فكرة مجنونة ألا وهي الذهاب إلى الجبل ، إنها فرصتها التي أتت إليها على طبق من ذهب ، فوالديها كانا يصران دائما على منعها من الذهاب إلى الجبل والآن هي في القرية وحدها ولا أحد سيعرف ما ستفعله

خرجت من غرفتها وهي تسير على أناملها بخفة حتى لا يشعر بها جديها وهي تهمس لنفسها : لن اتأخر سألقي نظرة صغيرة على الجبل وأعود ، لا داعي لكل هذا القلق يا شمس

جمد أوصالها صوت جدها الرخيم الذي يسألها : ما الذي تفعلينه يا شمس ولماذا تسيرين كاللصوص هكذا ؟

نظرت شمس إليه وهي تبتسم ببلاهة : أنا ، أنا لا أفعل أي شئ ، فقط كنت ذاهبة لأتجول في القرية قليلا ولم أرد ازعاجكما

نظر الجد إليها بشك فابتسمت هي وقامت بعناقه بقوة : صدقني يا جدي ، سأتجول قليلا وأعود

نظرت إليه بعيونها الكبيرة اللامعة فما كان للجد سوى الاستسلام امامها

فهيم : حسنا ولكن لا تتأخري كثيرا الجو غائم ويبدوا أنها ستمطر الليلة

قفزت شمس بسعادة وهي تهتف : لا تقلق سأعود قبل حلول المساء

خرجت شمس وهي تهرول بسعادة وحماس متجهة الي الجبل الذي عقدت العزم على اكتشافه اليوم ، وصلت أخيرا إلي الغابة وقامت بعبورها بسهولة فهي صغيرة الي حد ما ثم رفعت رأسها وهي تنظر إلي الجبل العملاق بإنبهار : يال الروعة ، إنه يخطف الأنفاس حقا

صفقت بكلتا يديها وهي تقهقه بسعادة ثم بدأت في تسلق الجبل بهدوء وحذر وهي مندهشة من كل شئ تراه عيناها

مرت الساعات الطوال ولم تنتبه شمس إليها فقد كانت هائمة تماما في جمال الطبيعة حولها وكل تلك الخبايا البراقة التي يخبئها الجبل في كنفه ، حتى انها لم تنتبه لتوغّلها كثيرا في أعماق الجبل

.

بدأت الشمس في الانخفاض بهدوء وبدأ الجو يتبدل

شمس : ما هذا !! مطر ؟؟ إنها تمطر

ألقت نظرة فاحصة حولها لتدرك الحال الذي أصبحت عليه

شمس : يالهي لقد بدأت الشمس في الغروب ، على العودة بسرعة إلي المنزل

أسرعت شمس قاصدة العودة من حيث أتت ولكنها لم تعلم اين هي ولا كيف تعود للقرية مرة أخرى ، تجولت هنا وهناك بقصد إيجاد طريق العودة ولكن بلا فائدة

حل المساء وخيم الهدوء على الجبل وشمس لاتزال تركض في الأرجاء لا تعرف إلي أين تذهب وقد تملكها التوتر والخوف فرغم جمال الجبل وروعته إلا أنه مفجع للغاية في الظلام

كانت شمس تركض بسرعة وعشوائية فهي عاجزة عن رؤية أي شئ بسبب الظلام كما أن الهدوء حولها كان قاتلا مزقه صوت الرعد الهادر ففزعت وانزلقت قدمها بسبب الوحل فسقطت من أعلى المنحدر حتى سكنت على أرض منبسطة أمام كهف ضخم

.

مرت بضع دقائق حتى تمكنت شمس من معاودة الحركة مرة أخرى فجسدها كان ملئ بالرضوض والجروح إثر سقوطها ، رفعت بندقيتاها الملطخة بالدموع وهي تحاول رؤية أي شئ في هذا الظلام لتتفاجئ بما تجده أمامها ، هذا الكهف الضخم المغلق بالحجارة والأخشاب تخترقه نُقرَة صغيرة في جانبه

قررت شمس أن تدخل إلى الكهف من خلال تلك الفجوة الصغيرة لتحتمي من المطر على الأقل ، وفور ملامسة جسدها لأرضية الكهف من الداخل غطت في نوم عميق من التعب والألم

*****

كان الجد فهيم جالسا أمام إحدى النوافذ في منزله يطالع الخارج بقلق يكاد يفتك بقلبه

طاهرة بقلق : ألم تعد شمس بعد ؟

أجابها الجد فهيم وهو يحرك رأسه بنفي والقلق يعتل وجهه : كلا ، أشعر بالقلق عليها ، قلبي يخبرني إنها ليست بخير

جلست طاهرة على مقعد آخر جواره وهي تمسك بيده : لا تقلق ستكون بخير بإذن الله

فهيم : أتمنى هذا

طالع الجدين الفراغ أمامهما في انتظار ظهور حفيدتهم في أي لحظة

*****

صوت أنين يدوي في الأرجاء ، كان الأنين مستمر ومزعج للغاية مما أقلق سكون الجميلة النائمة ودفعها للنهوض من مرقدها وهي تتفحص المكان حولها

شمس : هل يوجد أحد هنا ؟ من انت ؟ لما الأنين ؟ هل تتألم ؟

إنتابها القلق في البداية ولكنها قررت النهوض والبحث عن مصدر الصوت ، أستمرت في السير داخل الكهف متجهة نحو الأنين وهي تطالع المكان باندهاش فرغم كونها داخل قلب الجبل إلا أن المكان مضئ بشكل غريب وجدران الكهف تبدوا في غاية الروعة بكل تلك الأحجار الكريمة البراقة التي تزينها

.

وصلت شمس اخيرا الى مركز الكهف والذي صدر عنه صوت الأنين ولكن ما وجدته أمامها لم يكن في الحسبان

رأت مخلوق غريب للغاية ، رَجُل ؟ كلا، ثعبان ؟ لا أعتقد ، انه نصف بشري ونصف تنين ، تنين ؟ اجل تنين ، شيء لا يقبله العقل

كان هذا الرجل التنين يرقد في منتصف دائرة سوداء مرسومة على الارض تشبه طلاسم السحر ، مقيد في الأرض بسلاسل حديدية عملاقة ، وهناك أوتاد خشبية مختومة بتعاويذ سحرية تخترق جسده

.

رغم شجاعة شمس وفضولها الشديد الا ان هذا المشهد المفجع كان أكثر من تحملها ، فلم تشعر سوى بالأرض تهوى تحت قدميها وسقطت مغشي عليها

*****

أشرقت شمس الصباح لتشق بسيفها الذهبي ظلام الليل وتذهب صمته المخيف

استيقظت جميلتنا في سريرها داخل بيت جدها ، ونهضت فزعة خائفة

شمس : ما م ، ما هذا ؟ حلم ؟

هرعت الى المطبخ حيث كانت جدتها تعد الفطور بهدوء ككل صباح

صرخت بصوت مرتفع رَوّع جدتها : جدتي !!

فزعت الجدة للغاية مما دفعها لوضع يدها فوق قلبها

: ما هذا يا شمس لقد افزعتني يا فتاة

اقتربت شمس من جدتها وامسكت كلتا يديها بقوة وهي تقول : بالأمس الجبل ، وجدت رجل ، تعاويذ

نظرت الجدة إليها بتيه وهي لا تفهم أي كلمه مما تقوله تلك الفتاة : أنا لم أفهم شئ يا شمس ما الذي تريدين قوله بالضبط ؟

جلست شمس فوق أحد المقاعد الخشبية وظلت تثرثر وتثرثر وهي تسرد لجدتها كل ما حدث معها بالتفصيل والجدة مندهشة مما تقوله شمس ، فـشئ كهذا غير منطقي أبداً

طاهرة : ما هذه التراهات التي ترويها يا فتاة ، هل جُنْنْتِي ؟

شمس : لكنني اتذكرة ، لقد رأيته بعيني هاتين ، هذا الرجل التنين

طاهرة : لابد أنكِ كنت تحلمين بعد أن فقدت وعيك بالأمس

سألتها شمس بتعجب : فقدت الوعي ؟ أنا ؟

طاهرة : أجل انتِ ، ليلة أمس تأخرتِ كثيرا بالخارج وقلقنا أنا والجد عليكِ كثيرا لذا ذهبنا للبحث عنك في القرية

رفعت راسها وهي تنظر إلى شمس بعتاب قاسٍ : لم نجدك في أي مكان وكادت قلوبنا تتمزق من الخوف والقلق عليكِ فاستعنا بالمزارعين ليساعدونا في البحث عنكِ وفي النهاية وجدناكِ في الغابة أسفل الجبل ، كان من الواضح للجميع أنكِ سقطت من فوق المنحدر فجسدك مغطى بالجروح والكدمات

طأطأت شمس رأسها بخجل من تصرفها غير الناضج : أنا أسفة

ظهر صوت الجد من خلفهم وهو يدلف إلي المطبخ ويقول بعتاب شديد : وبما يفيد الأسف الآن يا شمس

رغرغت عيني شمس بالدموع وهي تستمع إلى جدها الذي بدأ بتعنيفها لأول مرة في حياته : لقد كذبت علي بالأمس ، أخبرتني إنك ستذهبين للتجول قليلا في القرية ولن تتأخري ولكنكِ خلفت كلامك ، ذهبت للجبل وبدون إذن وبدون بعرفة أحد ، اخبريني ما الذي كنا سنفعله إذا أصابك مكروه ما ؟ ما الذي كنت سأقوله لوالديك إذا مسكِ الأذى ؟ كيف لم تفكري في شعورنا جميعا إذا حدث لكِ أي خطب ؟ إلى متى ستظلين متهورة هكذا ولا تفكرين في عواقب أفعالكِ يا شمس ؟

.

اجهشت شمس في بكاء مرير بعد سماعها لعتاب جدها وبدأت في عتاب نفسها هي الأخرى على تصرفها غير المسؤول

تدخلت الجدة طاهرة لتخفف من حدة النقاش وقامت بمعانقة حفيدتها ، فمهما اخطأت هي لاتزال مدللتهم الصغيرة : لا بأس لا بأس ، اهدأ يا

عزيزي ، وأنتِ يا صغيرتي كفاكِ بكاء ، لقد مرت ليلة الأمس ، والحمد لله أنك بخير

نظرت شمس إلي جدها وعيناها غارقة في الدموع فلم يتحمل قلبه رؤيتها بهذا الحال المؤلم وقام بضمها لصدره بقوة : مزقت روحي من القلق عليكِ ، لقد كاد قلبي ينخلع من مكانه عندما رأيتك ممددة على الأرض في الغابة والجروح تغطي جسدك

قامت شمس بمبادلة جدها العناق بقوة وهي تبكي : أنا آسفة يا جدي ، لم أكن اقصد اخافتك هكذا ، أنا حقا آسفة

ربت الجد فوق ظهرها بحنو: لا بأس يا صغيرتي ، أخبريني هل أنتِ بخير ؟ هل تشعرين بأي ألم يا قرة عيني ؟

حركت شمس رأسها بنفي وهي تمسح العبرات عن وجنتيها : لا تقلق يا حبيبي أنا حقا بخير ، أشعر بالراحة بعد النوم العميق ليلة أمس

زفر الجد بطمأنينة وهو يحمد الله على سلامتها وأنه ردها إليه بخير

طاهرة : الآن دعونا نتناول الإفطار ، لابد أنك جائعة للغاية يا شمس بعد أحداث الأمس

شمس : معك حق أنا جائعة للغاية

فهيم : إذا هيا بنا بسم الله

خلال تناول الطعام لم تفارق صورة الرجل التنين ذهن شمس ، لقد بدا واقعيا للغاية ، هي واثقة أن ما رأته عيناها كان حقيقيا ، ولكن جدتها على حق ، شئ كهذا لا يمكن وجودة على أرض الواقع

يبدوا أن شمس كانت تهذي بالفعل او ربما فقدت عقلها كما يقول الآخرون عنها

*****

مرت الأيام ومنع الجد شمس من الخروج من منزله خوفا عليها من تهورها وعقابا لها في نفس الوقت ، ولكن هذا العقاب كان قاسيا عليها للغاية فقد بدا عليها الحزن والسقم وبدت كطائر مكسور القلب سجين قفص من حديد ، غير مسموح له بالرفرفة بجناحية ، لذا قرر الجد أن يطلق سراحها مرة أخرى ولكن بشرط ألا تخرج من المنزل

وحدها ولا تقترب من الجبل ثانية حتى لا تؤذي نفسها مرة أخرى

خرجت شمس مع جدها إلي الحقول ليباشر عمله وظلت هي جالسه تحت الشجرة العملاقة في قلب المرعى ، كانت تجلس على العشب الأخضر وهي تشاهد الأطفال يلعبون والمزارعين يحصدون محصول الذرة الذهبية الجميلة

قاطع خلوتها صوت قهقهة آت من خلف ظهرها ، رفعت شمس بندقيتاها الجميلتين ليقع نظرها على هذا الوسيم الواقف خلفها

شاب ضليع شديد العود قمحي اللون وملامحه الشرقية الرجولية للغاية تزين وجهة المألوف بالنسبة لشمس

شمس : تبدو مألوف للغاية هل قابلتك من قبل ؟

هيثم : أجل ، أنا من اقذك من فوق تلك الشجرة من قبل

تذكرت شمس تلك الحادثة وابتسمت ، ثم قطع شرودها ضحك هيثم للمرة الثانية فقطبت حاجبيها وهي تسأل بضجر : ما الذي يضحك إلي هذه الدرجة ؟

أشار هيثم عليها وعاود الضحك مرة أخرى ، كانت شمس تمسك ثمرة مانجو عملاقة بين يديها وتأكل فيها بعشوائية مفرطة للغاية فلطخت كلتا يديها وفمها ونص وجهها

هيثم : بتدين كمن غاصت داخل برميل من المانجو

نظرت شمس إليه والشر يقدح من عينيها ولكنها عندما نظرت لنفسها ضحكت هي الآخرى ، وبعد القليل من الوقت مدت شمس يدها بثمرة آخرى : تفضل ، تناولها ، طمعها لذيذ للغاية صدقني

أبتسم هيثم بفخر : بالطبع هي كذلك ، جميع محصول قريتنا لا يضاهى ابدا

أطلق العنان لنظراته الهائمة في أرض قريته الحبيبة : كل شبر من تلك القرية الصغيرة هو كنز من أغلى كنوز الأرض ومن لا يدرك ذلك فقد أضاع ذلك الكنز من يده

شمس : يبدو أنك تحب قريتك جدا

هيثم : بالتأكيد أحبها ، لقد ولدت وترعرعت هنا أكلت من خيرها ولعبت بطميها ، وبعد أن اشتد عودي ونضجت ساعدت في بناءها

أشار بيده للحقول : لقد زرفت أنا وغيري الكثير من العرق حتى نتمكن من بناء تلك الجنة الخلابة ، عملنا قصارى جهدنا لتبدو أرضنا وكأنها عروس في ليلة زفافها فكيف لي ألا أعشق ترابها

ابتسمت شمس بحب وهي تنظر للحقول الذهبية أمامها وتطرب أذنها من سماع غزل هيثم في أرضهم

مد هيثم يده وأخذ ثمرة المانجو وأخرج من جلبابه سكين صغير وبدأ بتقطيع الثمرة بطريقة احترافية جعلها قطع سهلة الأكل

هيثم : ها أنتِ ذا ، يمكنكِ تناول الثمرة هكذا بدلا من تلطيخ نفسك هكذا كالأطفال

حركت شمس رأسها بنفي وهي لاتزال مستمرة في تناول المانجو : أحب تناولها هكذا ، أشعر بالراحة أكثر

هيثم : ولكن لا يمكنك تناولها هكذا فأنت فتاة وعليك أن تكوني رقيقة ومهذبة

نظرت شمس إليه شزرا : هل تقصد أنى غير مهذبه ؟

هيثم : ستكونين غير مهذبه إذا تابعتي الأكل بتلك العشوائية

أخذ المانجو من يدها ثم قام بوضع القطع فوق أحد أوراق الشجرة العملاقة كأنه صحن ووضعها أمام

شمس : يمكنك تناولها هكذا وستكون لذيذة أيضا وبتلك الطريقة لن تخسري أنوثتك ورونقك

عاندت شمس في البداية ولكنها استسلمت في نهاية المطاف فهي فتاة على أي حال وعادة الفتيات أنهن يحبون الظهور بمظهر لطيف أمام الآخرين

نظر هيثم إلي شمس وهي تتناول الثمرة بلطف هذه المرة وهي تراقب الماشية والمزارعين ثم أبتسم بهدوء وإعجاب من نعومتها ولطفها

شمس : كنت أريد سؤالك عن شئ ما ؟

هيثم : بالتأكيد تفضلي

شمس : هل تعرف شيئا عن الكهف الموجود في الجبل ؟

تغيرت تعابير وجه هيثم من الهدوء إلي الغضب وقطب حاجبيه وهو ينهض بشكل مفاجئ : لا أدري عما تتحدثين ، وأتمنى أن تتوقفي عن التنقيب حول

المشاكل فليس لدى القرويين الوقت الكاف للبحث عنك مرة آخرى كما حدث سابقا

أنهى هيثم كلماته الغاضبة ثم رحل مباشرة متجها الي الحقول ليساعد المزارعين في جني المحصول

شمس : ما الذي أصابه فجأة ؟ هل فقد عقله أم ماذا ؟

نظرت شمس إلي ثمرة المانجو التي أعدها لها وقطبت حاجبيها وهي تدفعها بعيدا عنها بحنق واخدت الثمرة الأخرى وعاودت تناولها بعشوائية مرة أخرى

*****

مرت عدة أيام وشمس لا تزال تفكر فيما رأته في ذلك اليوم وفي رد فعل هيثم على سؤالها وعقلها مشوش حتى قررت الذهاب للجبل مرة أخرى والتأكد مما رأت

شمس تحدث نفسها : أنا آسفة يا جدي ولكن علي الذهاب ، قد ينفجر عقلي حقا إذا لم اتأكد من هذا الأمر

.

وبالفعل خرجت شمس من المنزل بهدوء وسرية تامه حتى لا يلاحظ جديها وهرعت بسرعة متجهة نحو الجبل وقبل أن تصل إلى الغابة قابلت بعض الأطفال في طريقها فقررت سؤالهم عن الكهف فجديها وكذلك هيثم لا يريدون إخبارها بأي شيء

شمس : المعذرة أيها الأولاد

نظر إليها الأطفال بتعجب فاقتربت هي منهم بتردد : كنت أريد أن أسألكم عن شئ هام ، يبدو أنكم أذكياء للغاية وستتمكنون من الإجابة بسهولة

زاد تعجب الأولاد فتقدم أكبرهم ليبادر هو بالحديث هذه المرة : يبدو أنكِ لستِ من هذه القرية يا آنسة ، أنا أدعى عُمران ، يمكنك سؤالي عما تشائين فأنا أعرف كل شئ عن هذه القرية

تهللت أسارير شمس فها هي ذي على شفا معرفة ما يريح قلبها ويسكن فضولها الكبير

رفعت شمس يدها مشيرة إلى الجبل الضخم : هل تعرف كل شئ عن ذلك الجبل يا عمران ؟

عمران : نعم يا آنسه ، لقد أخبرتك أنني أعرف كل شئ

شمس : هذا جيد للغاية ، إذا أخبرني ما تعرفه عن الكهف أعلى الجبل

نظر الأولاد إلي بعضهم البعض بحيرة وتعجب ثم سأل عمران : عن أي كهف تتحدثين يا آنسه ، لا يوجد كهوف في جبلنا

شمس بتعجب : كيف هذا ، أنا واثقة أننى رأيته ذلك اليوم

.

رمق الأطفال شمس بنظرة ازدراء وتولوا مبتعدين عنها ناعتين إياها بالجنون

صاحت شمس بغضب في الأولاد المزعجين في نظرها : أنا متأكدة أيها الحمقى أننى رأيت الكهف أعلى الجبل

أخرج أحد الأطفال لسانه لشمس ثم ركض مع أقرانه وهم يضحكون تاركين شمس خلفهم تستشيط غضبا وتسبهم بكل الألقاب القبيحة التي تعرفها في عقلها

قاطع تفكيرها الوقح ذلك صوت إحدى سيدات القرية الثرثارات التي سألتها بتعجب بعد أن سمعت الحديث الذي دار بينها وبين الأولاد

السيدة : يا فتاة هل كنتِ تسألين عن الكهف المغلق للتو ؟

ألتفتت شمس بأمل علها تصل إلي إجابة عن تساؤلاتها

شمس : أجل أجل فعلت ، هل تعرفين ذلك الكهف يا سيدتي ؟ لقد قال الأطفال أنه لا وجود لكهوف على الجبل لكني متأكدة أننى رأيته

السيدة : أطفال القرية لا يعرفون شيئا عن الكهف

اشاحت بنظرها لأعلى الجبل وكأنها تبصر الكهف : إنه الكهف الوحيد في الجبل ولا احد يعرفه سوى البالغين

اقتربت شمس من السيدة تحاول معرفة المزيد: وما حكاية ذلك الكهف يا خالة ؟ لماذا هو مغلق وما الذي بداخله ؟ أريد أن أعرف كل شئ عنه

نظرت إليها السيدة الثرثارة وشرعت في هوايتها المفضلة وهي الثرثرة بكل ما تعرفه : إنها قصة طويلة للغاية يا فتاة ، حدث هذا منذ مئات السنين ، منذ عهد أجدادنا ، في إحدى الليالي المـــــ

قاطع ثرثرة المرأة سيدة أخرى أكبر منها في السن بسنون قليلة وكانت تتحدث بصرامة بالغة : سيدة نعمة ما الذي تتحدثين به مع طفلة صغيرة ، لا يمكنك البوح بذلك السر ابدا أمامها

شمس : أنا لست طفلة يا سيدتي ، أنا فتاة بالغة ولكني قصيرة بعض الشئ

ابتسمت السيدة بود وهي تربت فوق ظهرها بحنو : أنا أعرفك جيدا ، أنتِ شمس حفيده الجد فهيم والسيدة الطيبة طاهرة ، أليس كذلك ؟

شمس : أجل يا سيدتي أنا هي

أمسكت السيدة بيدها الصغيرة : أنسى ما سمعته الآن يا عزيزتي شمس ويمكنك الذهاب للعب في الحقول بدلا من السؤال عن التراهات ، ما رأيك ؟

شمس : ولكنـــــ

ربتت السيدة فوق ظهرها مرة آخرى وهي تحثها على الذهاب : إنها أسطورة قديمة لا حقيقة لها مثلها كمثل بقية قصص الأطفال الخيالية لذا لا تهتمي يا صغيرتي

طأطأت شمس رأسها بخيبة أمل : حسنا يا سيدتي

السيدة : فتاة مطيعة ، هيا اذهبي يا صغيرتي ولا تقتربي من الغابة لكي لا تفقدي طريقك كما حدث في المرة السابقة

أحمرت وجنتي شمس بحرج ثم ألقت السلام وركضت متجهة للحقول والسيدة تراقبها حتى اختفت داخل الحقول

نظرت السيدة الي نعمة بوجهة متجهم : يا امرأة ألا يمكنكِ السيطرة على لسانك هذا قليلا ؟ هل تعرفين حجم الكارثة التي كنتِ على شفا حفرة منها الآن ؟

نعمة بحرج : أنتِ تعرفين يا حكيمة لا يمكنني السيطرة على هذا الأمر

حكيمة بصرامة : أيّن يكن يا نعمة فهذا الموضوع بشكل خاص لا يمكنكِ الثرثرة فيه هكذا ، هل تريدين أن يحل علينا الهلاك كما حدث مع الأجداد ؟

رفعت نعمة يدها واضعة إياها فوق صدرها بهلع : حفظنا الله حفظنا الله لا تقولي هذا يا حكيمة أنتِ ترعبيني

حكيمة : إذا عليكِ التوقف عن التحدث عن الأمر فنحن أضعف من أن يصيبنا ما أصاب الأجداد

سارت السيدتان متجهتان الي منازلهما وهما تتحدثان عن أمور الحياة المختلفة وقوت العيش

*****

بينما وسط تلك الحقول الذهبية تسير المشاغبة الصغيرة وهي تحدث نفسها ، فقد أثار حديث السيدتين فضولها أكثر وأكثر

شمس : كنت أعرف ، كنت متأكدة أنه ليس حلما ، هناك شئ ما حول هذا الكهف العجيب يحاول الجميع اخفاءه عني ، ولابد لي من معرفته لا محالة

اشاحت بنظرها نحو الجبل : سأعود إليك مرة أخرى حينها سأعرف ما الذي يجري هناك، أعدك

.

وفي الصباح الباكر من اليوم التالي ذهبت شمس إلى الجبل علها تصل إلي أي شئ يشبع فضولها ، تجولت كثيرا في الأرجاء وتسلقت بعض الصخور والمرتفعات باحثة هنا وهناك عن الكهف لكن دون جدوى ويكأن الكهف تبخر بسبب شمس الظهيرة الدافئة

قالت شمس وهي تحاول التقاط أنفاسها بصعوبة جراء المجهود الكبير الذي بذلته : لا أصدق ما يحدث حقا ، لقد اختفى الكهف تماما ، لماذا لا يمكنني الوصول إليه ؟

أشاحت بنظرها نحو السماء فرأت الجميلة الذهبية على وشك الخلود الى النوم فقررت العودة إلى المنزل ومعاودة البحث عن الكهف في يوم آخر ، ولكنها لن تستسلم بالتأكيد وستصل إلي بغياها قريبا بلا شك

.

وهكذا مرت الأيام تباعا وشمس لا تكف عن البحث والتنقيب داخل الجبل علها تصل الي هذا الكهف المفقود

يوم يتلوه اخيه حتى مرت أيام لا تدري شمس عددها من كثرتها وهي لا تزال تائهة في الجبل ولا يمكنها تحديد مكان الكهف بالضبط

*****

فتح سوداوتاه بهدوء وهو يردد اسمها بين شفتيه ثم رفع رأسه للأعلى وقال بصوته الأجش الغليظ : ها أنتِ ذي ، هل ستنتهي الحكاية أم أنها لاتزال في بدايتها ؟ ما الذي يخبئه القدر لنا أيتها الجنية الصغيرة ؟

حرك يده المكبلة بالسلاسل وقام بنحت اسمها على الأرض بمخالبه الحادة ثم قام بمحوه مرة أخري بكف يده ليترك أثره باهتا فوق الأرض

*****

في أحد الأيام الماطرة كسابقتها فمؤخرا أصبحت السماء تمطر كثيرا فنحن على مشارف فصل الشتاء البارد

كانت شمس تتجول في الجبل بملل فهي قد فقدت شغفها نحو الكهف بعد أن فشلت في العثور عليه وكأنه كان دربا من الخيال

كانت تسير وهي تنظر إلي الأرض وتركل الحصى الصغيرة بقدمها وهي شاردة الذهن تماما ولم تنتبه للطريق الذي تسير فيه حتى اصطدم ذراعها بلوح

خشبي وخدش جلدها جراء مسمار مدبب يخترق اللوح

صرخت شمس بألم وهي تمسك بذراعها وتتفقد الخدش بألم

شمس : يا إلهي ، مرة أخرى ، ألا تكفين عن إيذاء نفسك يا شمس ، كلما خرجت إلي أي مكان تعودين وقد حصلت على ندبة جديدة في جسدك ، سحقا

رفعت جميلتاها لتنظر بهما إلي ذلك اللوح الأحمق الذي خدشها ولكنها ذهلت وهالها ما رأت أمامها ، إنه الكهف المفقود ، إنه حقا أمامها

أتعلم المقولة " إذا تجاهلت الشئ يأتيك بنفسه " هذا ما ينطبق على هذا الكهف المغفل فقد بحثت شمس عنه لعدة أيام وعندما فقدت الأمل وتجاهلت وجوده ظهر وحده دون عناء ، حقا هذا شئ يذهب العقل

أثنت شمس ظهرها ووضعت يدها فوق قلبها وهي تحدق في الكهف بتوجس ورهبة فهذا الكهف يبدوا مريبا ، ضخم مخيف موحش مغلق بالحجارة والأخشاب عدا فجوة صغيرة منه بالكاد تسمح لمرور شخص خلالها

كانت شمس مرتبكة بعض الشئ ولكنها استجمعت شجاعتها وولجت إلي الكهف بخطوات مرتعدة وهي تحاول تشجيع نفسها

شمس : لا بأس يا شمس لا بأس ، كل شئ سيكون على ما يرام ، لا يوجد شئ مخيف

هذا ما حاولت أن تقنع عقلها الصغير به قبل أن ترى ذلك الكائن المرعب مرة أخرى فأخذت تقفز عدة مرات وهي تصرخ بهلع

شمس : كلا كلا لاااااا ، إنه هنا هنا لاااااا ، أمي يا إلهي أنه موجود بالفعل أمـــــــــي

هذا صحيح أيتها الشمس المجنونة أنت لم تتوهمي الأمر ، إنه هنا حقا هذا التنين الغامض ، إذا ما العمل الآن أيتها الصغيرة ؟

.

تلك الصراخات المجنونة كانت مزعجة بالشكل الكافي لإيقاظ هذا النائم المخيف

حرك الهجين رأسه بصعوبة إثر تلك السلاسل العملاقة التي تكبل عنقه ونظر إلي الرعناء التي تنكص أمامه كالتي أصابها مس ما من الشيطان ،

نظراته كانت حادة ومخيفة أصابت شمس بالرعشة من منابت شعر رأسها وحتى أخمص قدميها ، ولكن هيهات من تلك المجنونة أن تخاف أو ترحل كأي أنسي عاقل

تقدمت شمس بخطوات مترددة وتكاد من قوة دقات قلبها تقسم أنه سيخرج من بين اضلعها

تحدثت شمس بصوت مرتعد وكلمات سريعة تكاد تفتك بالمسكين من فضولها المزعج : من أنت ؟ وما الذي تفعله هنا ؟ ولماذا أنت مكبل في الأرض بتلك الطريقة ؟ وكيف يمكن وجوك كائن مثلك في الواقع هكذا ؟

رفع الغامض سوداوتاه التي شابتها الحمرة من شدة غضبة وثار فيها كبركان راكد من عقود واخيرا سنحت له الفرصة في الانفجار وإفراغ حممه الحارقة

الغامض : من ، أنتِ ؟؟ من أنت وماذا تفعلين في أرضي ؟ ارحلي

صرخ بصوته الجهوري الأجش بنبرة كادت تصم أذن الفتاة وتقتلع قلبها من مكانه : اخرجي من هنا ، غادريـــــي

كانت شمس متحجرة في مكانها لا تنبس ببنت شفة أوصالها ترتعد بفزع وهي تراقب ذلك العملاق المرعب وهو يتحرك كالثور الهائج بين تلك السلاسل الحديدية التي لولا وجودها لكانت في خبر كان

شمس تردد داخل عقلها : ما هذا ؟؟ إنه مخيف ، لا يمكنني تحمل هذا ، أريد العودة إلى البيت ، لا يمكنني التحكم في دموعي

زمجر التنين بقوة وغضب في وجه شمس التي تراجعت عدة خطوات للخلف بهدوء وتوتر حتى خرجت من الكهف ثم توجهت مباشرة نحو منزل جدها وهي في حالة لا يرثى لها من الهلع والزعر والآلئ اللامعة تتراقص فوق ستار رموشها البنية الكثيفة

التقطت شمس العبرات الصغيرة بأناملها حتى لا تثير الشكوك نحوها ودلفت إلي المنزل بهدوء لا يناسب طبيعتها مما دفع الجدة الي التعجب وطرح الأسئلة

طاهرة : ماذا بكِ يا حبيبتي شمس تبدين على غير عادتك ؟

نظرت شمس إلي جدتها بعيون زائغة وعقل مشوش : كلا أنا بخير

قلقت الجدة من شحوب صغيرتها فاحتضنت وجنتيها بين كفيها الدافئتين : ماذا أصابك يا صغيرتي ، وجهك شاحب كحبات الثلج ، ما الخطب ؟

أنتبه الجد لحديث زوجته فترك الجريدة التي كانت بين أنامله ونظر لشمس من فوق عويناته المعدنية ليلاحظ شحوب وجهها واحتقان عينيها بالدموع

فهيم : ما الخطب يا صغيرتي ؟ لما كل هذا الشحوب والذعر ؟

تمالكت شمس أعصابها وحاولت قدر الإمكان التحكم في انفعالاتها حتى لا يتم اكتشاف ما قامت به

شمس : لقد ، فقط رأيت طائر مصاب في أحد أجنحته وعندما حاولت مساعدته فشلت وفقد الجريح حياته

اخفضت نظرها إلى الأرض فها هي ذي ولأول مرة في حياتها تكذب على أحدهم ، ومن يكون ؟ جدها الحبيب

.

اقترب فهيم من شمس وقام بضمها والتربيت فوق كتفها ليهدأ من روعها قليلا : لا بأس عليك يا فتاة ، لا بأس عليك

كففت شمس دموع الندم التي تسللت من بين رموشها ونظرت لجديها : سأصعد إلي غرفتي ، أريد أن أنال قسطا من الراحة

طاهرة : ألن تتناولي الطعام ؟

شمس : كلا ليس الآن

انسحبت شمس بدون إضافة كلمة آخرى فهي تدرك مقدار الخطأ الذي ارتكبته الآن

وهل يوجد اسوء من الكذب في هذا العالم

*****

على الناحية الآخرى وداخل أحد البيوت في العاصمة المصرية (القاهرة)

يجلس رجل في منتصف عمره يدقق النظر في العديد والعديد من الأوراق المتراصة أمامه فوق مكتبة الخشبي فهو المسؤول عن حسابات إحدى الشركات الكبيرة صاحبة المنصب والصيت

.

قاطع تركيزه الشديد ذاك الصوت الرقيق لتلك الزهرة الجميلة ومحبوبته المتيم بها

زهور : رياض يا عزيزي كفاك عملا اليوم ، هيا انهض لنتناول العشاء

رفع رياض سوداوتاه ليحدق في معشوقته الفاتنة : لقد أتيتِ في وقتك المناسب يا زهرتي ، أنا حقا اتضور جوعا

قامت زهور بترتيب كل تلك الأوراق ووضعها فوق بعضها البعض لتقوم بدفعها بعيدا في النهاية

زهور : إن لبدنك عليك حق ، عليك أن تعتني بنفسك كاعتنائك بعملك ، هيا انهض

وبالفعل نهض السيد رياض مع زوجته ليتناولا وجبة العشاء معا وهما يتسامران ويتغازلان وكأنها شاب وفتاة في ريعان شبابهما

.

رياض : كيف هي شمس ؟ هل هاتفتيها اليوم ؟

زهور : فعلت ، لقد هاتفتها هذا الصباح

رياض : كنت مشغولا للغاية اليوم ولم أتمكن من الاطمئنان عليها ، أخبريني كيف حالها اليوم

زهور : إنها بخير

رفعت بندقيتاها الرقيقتين اللتان افسدهما القلق : لكني لا أشعر بذلك ، لقد انتابني القلق حولها منذ الظهيرة وحاولت مهاتفتها أكثر من مرة ولكن هاتفها خارج التغطية وفقط منذ ساعات قليلة هاتفتني وقالت أنها كانت تتجول في الأرجاء وهي بخير تماما ولكنها بحاجة لقسط من الراحة ، شعرت بالحزن في صوتها وكأنها تعاني من شئ ما وتخفي الأمر عني

حاول رياض تهدئة صغيرته الثانية فلطالما عامل زهرته الجميلة وكأنها ابنته الأولى ، لم يقسى عليها يوما ولم يجرح مشاعرها الهشة للحظة فهو حريص كل الحرص على الحفاظ عليها من نفسه أولا ومن العالم أجمع

رياض : لا تقلقي يا زهرتي ، ما دام والديك لم يهاتفاكِ فصغيرتنا بخير ، أنا أشعر بالراحة دائما حينما تكون بين جديها فهما حريصان على الحفاظ على رقيقتنا ، فلا داعي للقلق وغدا بإذن الله سنهاتفها ونتحدث معها لأطول فترة ممكنة حتى

تطمئن قلوبنا ، أما الآن فقد تأخر الوقت كثيرا ولابد أنها تغط في نوم عميق

حاولت زهور إقناع عقلها بكلمات زوجها الحبيب فهو يمتلك وجهة نظر أيضا ، الآن عليهم الخلود في النوم وغدا بإذن الله ستطمئن على الصغيرة المشاغبة

*****

مرت المزيد من الايام وها هي صغيرتنا تستعيد طبيعتها مرة آخرى

هل اخبرتكم من قبل عن هذا المثل المعروف الذي يردده الكثير من البشر "الشخص المصاب بطبع ما لا يغيره" ، هذا تماما ما ينطبق على شمس فمهما حدث لا تكف عن ذلك الطبع المزعج الذي تمتلكه وهو الفضول وافتعال الكوارث

وها هي ذي للمرة المائة تضرب بكل ما حدث في الماضي عرض الحائط وتعود لافتعال المزيد من الكوارث

ولأن عزيزتنا الصغيرة لا تتعلم ابدا وليست طبيعية كباقي البشر فها هي قد قررت العودة للكهف مرة أخرى ومواجهة هذا الهجين الغامض

.

أعرف أعرف أنه درب من الجنون ولكن ما العمل كما قُلت سابقا "صاحب الداء"

.

استعدت شمس هذه المرة جيدا فقد ارتدت ثياب مريحة للغاية تسهل عليها مهمتها في تسلق الجبل واخذت معها أداة معدنية لتقوم بوضع بعض العلامات حتى لا تضل طريقها مرة أخرى ، وها قد فعلتها ، تسلقت الجبل بحذر وهي تحاول تذكر الطريق الذي سارت فيه المرة السابقة ووضعت بعض العلامات الصغيرة فوق الصخور حتى استقرت قدمها أخيرا أمام ذلك المزعج

شمس : أخيرا أيها العملاق المغفل لقد وصلت إليك هذه المرة بدون أن أضل طريقي

رفعت رأسها عاليا لتطلع على نهاية فوهة الكهف وعلى غير المتوقع فقد كان شاهق الارتفاع مما دفعها للتعجب عن كيفية سد كل هذا الباب العملاق

فمن المستحيل لآدمي طبيعي أن يتمكن من سده بهذا الشكل والإتقان

أزاحت شمس تلك الأفكار والتساؤلات الكثيرة من رأسها وهي تعقد العزم على الولوج إلى الكهف والتحدث مع ساكنه الغامض

تسلحت بالشجاعة ورفعت الأداة المعدنية الصغيرة أمامها بحماية ودلفت إلي قلب الكهف بهدوء وحذر وهي ترمق المكان حولها بتفحص وتقييم حتى استقرت اخيرا أمام السيد الغامض

شمس بخوف : مدهش

رفع الغامض سوداوتاه ليحدق بتلك المجنونة التي عادت مرة أخرى إليه وهو الذي ظنها طفلة لن تعود إلى هنا مرة أخرى بعدما بذل قصارى جهده لإرعابها المرة السابقة

تعجب الغامض : مدهش ؟

قفزت شمس عدة مرات وهي تشعر بالأدرينالين يتدفق في جميع أنحاء جسدها : مدهش مدهش مدهش ، لا يمكنني سوى الاندهاش حقا كلما رأيتك ، غير معقول ، يا إلهيـــــــي

اقتربت أكثر من ذلك الساكن أمامها هذه المرة فهو لا يصرخ ولا يزمجر وقالت وكأنها في لقاء لطيف مع إحدى صديقاتها التي لم ترها منذ مدة طويلة :
مرحبا أيها الوسيم

الغامض : أهذا أنت مرة أخرى أيتها البشرية !!

سألت شمس بحماس لا تستطيع التحكم فيه وهي ترسم أغبى ابتسامة رآها التاريخ على شفتيها :
أتتذكرني ؟؟ هل حقا ما زلت تذكرني ؟؟ هذا رائع رائع

اقتربت شمس منه أكثر متجاهلة علامات الاستفهام التي تحلق فوق رأس الغامض وكذا كل تلك السلاسل والأوتاد الخشبية والطلاسم والأجواء المرعبة المحيطة بهم وجلست أمامه وهي تثني كلتا ساقيها باسترخاء شديد

شمس : اسمي شمس وليس تلك البشرية ، شمس رياض ، لقد سمانى والدي ذلك الاسم لأكون دائما مشرقة ولامعة كالشمس

قامت بفتح كفيها الصغيرين وضمهما مرة أخرى في علامة تدل بها على الشمس وهي تردد بغباء : هل

تعرف الشمس ؟؟ تلك الذهبية الجميلة التي تتراقص في السماء كل صباح

.

حسنا هذا الكائن المدعو بشمس هو أغرب ما مر عليه إلي الآن ، هو الذي عاش لأعوام طويلة لا يعرف عددها ولكن هذه العلقة هي أغرب ما رأه طوال حياته

الغامض : ما الذي تفعلينه الآن أيتها الفتاة الصغيرة ؟؟

اقتربت شمس من الغامض وهي تحدق في وجهه بوقاحة : لقد أتيت اليوم خصيصا لأجلك ، أريد التعرف عليك

الغامض : اغربي عن وجهي أيتها الشمطاء

شمس : لماذا ؟؟ هل تدري كم من الوقت عانيت حتى أتمكن من الوصول إليك ؟؟ مر العديد والعديد من الأسابيع حتى تمكنت اخيرا من ايجادك أنت وكهفك الأحمق

احتقن وجه الغامض بالدماء وها هو سيثور ويزمجر ولكن قاطعته تلك البلهاء مرة أخرى

شمس : إذا أخبرني أيها الوسم ما اسمك ؟ وما الذي تفعله هنا ؟ ولماذا أنت مكبل هكذا ؟ وكيف تكون نصف بشري ونصف تنين ؟ هل من الممكن أنك ولدت هكذا ؟ رائع رائع ، أرجوك اخبرني كل شئ عن نفسك وكلي أذان صاغية

الغامض : ألست خائفة مني ؟؟

صرخت شمس بحماس شديد وكأنها تلقت لتوها عدية كبيرة للعيد : بلا ، بالطبع أنا خائفة للغاية

الغامض : لا يبدو عليك أي نوع من أنواع الخوف ابدا

قالت شمس بتفكير : أنا لا أنكر أن تلك الأجواء مخيفة إلى حد كبير ولكنها مثيرة أكثر ، أعني أن وجودي مع كائن اسطوري مثلك في موقف كهذا الآن هو شئ مبهر ويجعلني متحمسة للغاية ، أشعر وكأنى حصلت على جائزة كبيرة كوني قادرة على مجالستك والحديث إليك

رفع الغامض سوداوتاه وحدق بوجه تلك الصغيرة التي تتطفل على مساحته الخاصة وتجعله مكافئة لذاتها

طال الصمت وشمس تنتظر رد الغامض الذي يحدق في بندقيتاها بطريقة اربكتها بالفعل فهو يطالع وجهها وترتسم فوق ملامحة نظرة غامضة وكأنه يفكر في أمر سئ ، أو ربما هي تتوهم فمهما طرأ هو لا يمكنه إيذاءها بكل تلك السلاسل التي تقيد حركته

زفر الغامض بحنق واجاب أخيرا : وما الذي تريدينه مني الآن ؟

شمس : أريد أن نتحدث سويا ، سيكون هذا ممتعا للغاية

وها هي نيران الحماس تشتعل مرة أخرى في جوف شمس لتبدأ في الثرثرة والثرثرة كثيرا حول أمور مختلفة ومتنوعة فتحدثت عن نفسها وجديها ومنزلهم ووالديها والطبيعة والأجواء خارج الكهف ، بمعنى آخر تحدثت عن كل شئ يحيط بها

.

وهذا المسكين يستمع إليها وكادت براثين الحنق تتفجر في جوفه فهو الذي عاش وحيدا داخل الكهف لسنوات عدة غير معتاد على تلك الثرثرة المزعجة ، وكل ما خطر بباله في تلك اللحظة هو النهوض

وإمساك تلك المزعجة الصغيرة والإلقاء بها خارجا لينعم ببعض الهدوء ولكنه لا يستطيع التحرك بسبب تلك السلاسل الحديدية البغيضة ، سحقا لها

*****

يقف فوق المحطة بعدما ترجل من القطار وهو يتلفح بالسواد ، ثيابه تبدو غريبة ومظهره مثير للريبة

جذب ذلك الرجل الأربعيني حقيبة سفرة السوداء القديمة نحوه وسار بخطوات غير متزنة بعض الشئ وجميع الأنظار تلحق به بتعجب والجميع يتهامس ويطرح الأسئلة عن ماهية ذلك الرجل الغريب ؟ وما تلك الثياب العجيبة التي يتلفح بها ؟ وحقيبة يده تلك التي تفوح منها رائحة غريبة

.

استقل الأربعيني إحدى سيارات الأجرة وتحدث بصوت مخيف للسائق يخبره بوجهته المرادة وهي إحدى القرى المتطرفة

السائق : يبدو أنك لست من سكان المنيا الأصليين ، لا تبدو مألوفاً

الغريب : ولماذا حكمت علي بذلك ؟ هل تعرف كل سكان هذا المركز لتتفوه بتلك التراهات ؟

ارتبك السائق من إجابته الحادة وصوته المخيف : بالطبع أنا لا أعرف جميع سكان هذا المركز ولكن شخص مميز مثلك بالتأكيد كان ليلفت نظري____

قاطعه الغريب بكل حدة : أعتقد أن أموري الشخصية شئ لا يعنيك في شئ لذا أعر انتباهك إلى القيادة أولى من التدخل فيما لا يعنيك

اكْفَهرَّ وجه السائق من وقاحة ذلك الغريب وفضل الصمت بقية الرحلة وحتى يتخلص من ذلك الوقح في حد وصفه

******

أما عن الكهف المخيف فلم يعد كذلك بعدما ملئته شمس بالكثير من المرح والضحكات المبهجة ورغم عدم تفاعل التنين معها فيما تفعل إلا أنها تستمر في خلق المواضيع التافهة والثرثرة فيها بلا كلل أو ملل

.

كانت شمس أمام التنين تقف على قدم واحدة وهي ترفع الآخرى وتمد ذراعيها أمامها تحاول تمثيل شكل الطائرة وهي تثرثر

شمس : هكذا تبدوا الطائرة ولديها جناحان هكذا ويمكنها التحليق في السماء

كان التنين ينظر إليها ولا يمكنه تخيل شكل الطائرة فهو يرى كائن معاق في حد وصفة بتلك الوضعية السخيفة التى تقف بها شمس

اقتربت شمس من التنين وهي تتساءل : أنت يمكنك التحليق في السماء أيضا أليس كذلك ؟ أعتقد أن التنانين يمكنهم التحليق ولكنك بلا أجنحة

أجابها التنين وهو لا يدري حقا لما يجيب تساؤلاتها تلك

التنين : كنت أحلق منذ زمن بعيد

حرك ذراعة المكبل بالسلاسل وهو يردف : قبل أن أقع أسيراً لتلك السلاسل

جلست شمس أمامه وعاد الفضول يحيط بعقلها مرة أخرى : لماذا لا تخبرني بما حدث معك سابقا ، أعنى كيف وصل بك الحال إلى هذا الوضع ؟

رفع التنين سوداوتاه القاتمة ليحدق بغموض في وجه شمس تلك النظرة المخيفة التى مايزال يوجهها إليها بين الفنية والأخرى ثم أردف بلا اهتمام

التنين : هذا شئ لا يعنيكِ فهذه حياتي الخاصة

ضمت شمس ذراعيها لصدرها وهي تتأفف بتذمر فذلك التنين غامض للغاية ولا يحدثها عن حياته ابدا رغم سؤالها المستمر عنها

تبسم التنين بسمة وليدة -إثر تصرفات تلك المشاغبة التى تقبع أمامه- لم تكد تظهر حتى أخفاها بمهارة ليغير دفة الحوار ويسمح لفضوله أن يغلب هذه المرة ويبدأ هو بالسؤال

التنين : ولكن أيتها الطفلة ما زلتِ تحدثيني عن حياتك وعن العالم الخارجي ولكنكِ لم تخبريني بعد عن كيفية دخولك الي هنا ، أعني الكهف

ومن بين كل تلك الكلمات لم تنتبه شمس سوى لكلمة واحدة أثارت غضبها الطفولي المضحك لتصرخ في وجه التنين بتذمر

شمس : أنا لست طفلة

نهضت مرة أخرى ووقفت بطريقة ناضجة وهي تحرك يديها بعشوائية

شمس : انظر أنا قصيرة فقط بعض الشئ ولكني ابدوا ناضجة للغاية ، أليس كذلك ؟

نظر إليها التنين بتفحص ليحرك راسة تأكيدا على كلامها ولكنه لم يترك لشمس فرصة للسعادة حتى حطم كل آمالها بكلماته الجافة

التنين : أجل تبدين طفلة ساذجة تحاول بيأس أن تظهر في هيئة فتاة ناضجة بطريقة مثيرة للشفقة

شمس : هل أخبرك أحدهم من قبل أنك وقح يا سيدي ؟

التنين : كلا لم يخبرني أحد بهذا فانا لم أتحدث مع بشري من قبل

شقت بسمة واسعة شفتي شمس لتعاود الجلوس أمامه مرة أخرى وهي تردد بسعادة : هذا يعني أننى فتاة مميزه أليس كذلك ؟ أعنى تمكني من الجلوس معك والتحدث إنه لأمر رائع حقا

التنين : أو ربما تكونين أنت الشخص الغريب ، انظري حولك ألا ترين كل تلك التعاويذ السحرية

والطلاسم ! على حد علمي أن هذا الكهف تم إلقاء تعويذة قوية للغاية عليه حتى لا يتمكن أحد من دخوله ولكنك فعلت أكثر من مرة ، ألم يلفت ذلك انتباهك ؟

شمس : أتعني أننى أملك قوى خارقة للعادة ؟

رفرفت بذراعيها كأنهما جناحان خفيان وهي تردد ببلاهة : أو ربما أكون جنية سحرية ، لهذا أنا قصيرة فالجنيات يكن صغيرات جدا ، أليس كذلك ؟

التنين : توقفي عن قول التراهات السخيفة أيتها البلهاء وأخبريني بالحقيقة دون كذب

نهضت شمس بغضب وقد ازعجها اتهامه لها بالكذب : أنا لا أكذب ، لقد أخبرتك بالحقيقة كاملة ، أنا حقا لا أعرف أي شئ عن كهفك المخيف هذا كما أنني لا أعرف أي شئ عنك أيها الغامض ، صدق أو لا تصدق فهذا ما حدث

تركته ورحلت منزعجة وهو متعجب من ردها فهذه أول مرة تتحدث إليه بتلك الحدة ولكن لا بأس فقد أعتاد جنون شمس وتقلباتها السريعة

*****

في مكان آخر متطرف على حدود قريتنا الحبيبة ، وداخل منزل صغير تفوح منه أبخرة ملونة والرائحة القذرة تتراقص بسلاسة في أحضان ظلام لا يشقه سوى شمعة صغيرة تحاول جاهدة اضاءه اكبر قدر ممكن من الغرفة المُقفرة

وفي احد زوايا الغرفة كان يقف رجل ثلاثيني بدى أكبر من عمره بكثير وأمامه إناء كبير به بعض السوائل غريبة اللون والرائحة يضيف إليها الرجل المزيد من المكونات النادرة

قاطع عمله ذلك طرقات خافته فوق باب منزله ليفتح بعد عدة ثوان ويلج إلي الداخل ذلك الرجل الأربعيني الغريب الطارئ على القرية

دخل الرجل الغريب إلى الغرفة التي كان فيها صديقة وهو يسير بهدوء ويتفحص المكان بدقه ليأتيه صوت من خلفه : لقد تأخرت كثيرا يا سيد أسنا حتى انني ظننت انك لن تأتى الى هنا ابدا

اجابه أسنا وهو يضع حقيبته ارضًا : لقد كان الطريق طويلا للغاية لم اعتقد انني سأستغرق كل هذا الوقت حتى اصل الى هنا كما انني عانيت كثيرا

حتى اجد ما يقلني الى تلك القرية ومنزلك الغبي على حدودها الغربية يا سقارة

تبسم سقارة وهو يردد ببرود : لماذا تشعرني أنى من اجبرك على المجيء إلي هنا ، ألم تكن أنت مقترح الفكرة من البداية ؟

أسنا : وذلك الكنز الذي عشت عمري جله أبحث عنه أتريد مني أن اضيعه عندما سنحت لي الفرصة اخيرا

نظر عبر النافذة تجاه العملاق المهيب الساكن أمامه واردف : لا يا سقارة لست بالغر الساذج الذي يضيع تلك الفرصة الذهبية بتلك السهولة

ترك سقارة ما بيده ليقترب من صديقه يشاركه النظر من النافذة : هل حقا ستفعل ما أخبرتني به سابقا يا سيدي ؟ أعنى أنه أمر خطير للغاية قد تدفع حياتك ثمنا له ، ليس هذا وحسب بل قد يفقد جميع سكان القرية أرواحهم في تلك التجربة

أجابه أسنا وهو يتجه نحو إحدى الغرف ليريح فيها قليلا من عناء السفر

أسنا : فلنذهب جميعا الى الجهيم إذا

اوصد أسنا باب غرفته تاركا خلفه سقارة يزفر بحنق وهو يتمتم ببعض الكلمات

سقارة : فلتعلم إذا أن نهايتنا جميعا ستكون على يديك أيها الساحر

*****

شمس : سيد وسيم سيد وسيم

شق هدوء الكهف نوتات صوتها الجميل بتلك الكلمات التى بدت غريبة للغاية على مسامع الرجل التنين لينظر إلى ذلك الابتلاء المتمثل في شمس كما وصفه في عقله ويسألها متعجبا

التنين : سيد وسيم ! من هذا الذي تنعتيه بذلك الاسم ؟

جلست شمس أمام التنين وهي تشير عليه : أنت يا سيدي ، ألا ترى أنه من الغريب أن اناديك بالسيد التنين أو السيد الغامض ، لذلك قررت أن اقتنى لك اسم اناديك به

التنين : فاخترتِ اسم وسيم ، ألا ترين أن هذا الاسم ابعد ما يكون عنى ؟ أعنى أنا تنين ، تنين حقا ولست

دميه ، تلك الهيئة وذلك الصوت والوجه ألم يثير ذلك انتباهك ؟

اقتربت منه شمس وهي تنظر إلى وجهه بوقاحه واجابته بتلقائية : بلا فعل ، رغم كونك تنين كما تقول إلا أنك وسيم جدا وسيم للغاية لذلك اخترت لك اسم يصفك

أنهت شمس جملتها ثم ابتسمت تلك الابتسامة المشرقة التى لا تفارقها ابدا لتخلق ضوضاء صاخبة داخل صدر التنين الذي عجز عقله ولسانه عن الإجابة على تلك الكلمات القليلة

وسيم : حسنا ابتعدي قليلا إنك تزعجيني وتوقفي عن رسم تلك الابتسامة السخيفة إنها أيضا تزعجني

قضبت شمس حاجبيها بانزعاج : إنك وقح حقا لا اصدق إنك تبصق تلك الكلمات الوقحة في وجهي

قالت كلماتها بحده واستقامت واقفه : على كلٍ لقد أتيت لأعطيك هذه

وضعت أمامه قالبا من الكعك ثم ابتسمت : لقد قمت باعدادها بنفسي ، تفضل تذوقها وأخبرني رأيك فيها

نظر التنين الى الكعكة بريبة فمظهرها لا يبعث الطمأنينة ابدا : هل أنتِ متأكده أن تلك كعكة حقا ؟

لم تستطع شمس تحمل وقاحته أكثر فصرخت في وجهه : توقف رجاءا عن هذا ، إنك تجرح مشاعري

نهضت من مكانها بغضب ثم اردفت : أنا لن أتى إلى هنا مرة آخرى فأنت شخص سيء

انتهت كلماتها وخرجت من الكهف تحت نظرات السيد وسيم الذي زفر بحنق فور خروجها وتمتم بعض الكلمات بحزن

وسيم : سيكون هذا أفضل لكلينا

صمت هنيهة ثم أردف : أو لكِ على الأقل فوجودك جواري خطر عليكِ أيتها الجنية الجميلة

نظر الى الكعكة ثم تذوق منها القليل وتبسم : إنكِ حقا تبهريني في كل مرة ، يالكِ من ساحرة لطيفة

******

أما عن شمس فقد كانت تسير وهي تحدث نفسها بغضب لطيف لا يليق إلا بها

شمس : حسنا أيها الغامض الأحمق سترى ما سأقوم بفعله ، سأجعلك تندم على وقاحتك تلك وتعتذر لي أيضا

ضربت الأرض بقدمها بتذمر : يا الهي أشعر بنيران تحرق صدري

نظرت شمس مرة أخرى الى الجبل خلفها وهي تخرج لسانها كالأطفال وكأن التنين يراها من تلك المسافة الشاسعة وقبل أن تدير ظهرها للجبل رأت أشخاصا يتسلقونه ، كانوا يبدون غريبين للغاية ولكنها ظنت أنهم قرويين يبحثون عن بعض الحطب أو النباتات فالجبل ملئ بتلك النباتات الطبية العجيبة التى جمعت بعضها هي الآخرى

تابعت شمس طريقها حتى وصلت إلى بيت جدها فدلفته وهي تصبح كعادتها : جدتي لقد عدت

ولكن على خلاف المتوقع لم ترحب بها السيدة طاهرة بحفاوة كعادتها وانما وجهت لها سؤالا على هيئة إتهام أو عتاب

طاهرة : أين كنتِ ؟

شعرت شمس بالقلق تجاه تلك النبرة الغريبة بالنسبة لها ولكنها حافظت على هدوءها ووضعت حقيبة

القش الخاصة بها فوق الطاولة وهي تخرج منها العديد من أوراق النباتات المختلفة

شمس : لقد جمعت العديد من النباتات الطبية ، أننى اتحرق شوقا للجلوس مع جدي ليعلمني أنواع تلك النباتات

طاهرة : أهذا فقط ما قمت بفعله يا شمس ألم تذهبي الى مكان آخر ؟

رفعت شمس جميلتاها ونظرت بهما لجدتها بقلق بالغ قد تمكن من قلبها الصغير

شمس : ماذا تقصدين ؟

طاهرة : أعنى الكهف المغلق مثلا

ذهلت شمس من معرفة جدتها بهذا الأمر فتلعثمت وازدادت ضربات قلبها : جدتي ، ولكن ، كيف ، أنا

طاهره : لقد رءآك بعض أولاد القرية تتسلقين الجبل كاللصوص فلحقوا بك من باب الفضول ولكنهم وجدوكِ تدلفين داخل الكهف فخافوا وعادوا الى القرية يحكون ما رأوا

طأطأت شمس رأسها ولم تنبث ببنت شفة وهذا ما زاد غضب الجدة لتصرخ في وجهها تعنفها

طاهرة : أيتها الحمقاء ، ألم أخبرك ألا تذهبي ابدا الى هناك ؟

دلف الجد الى المنزل فسمع صراخ زوجته مما أثار ذلك تعجبه فدلف إلى المطبخ متسائلا : ما الخطب يا عزيزتي لماذا كل هذا الغضب ؟

طاهرة : أنظر إلى ما تفعله حفيدتك المتهورة لقد ذهبت الى الجبل ولم تكتف بهذا بل ولجت الى الكهف الملعون أيضا

نظر الجد فهيم الى شمس مستفهما : أهذا صحيح يا شمس ، هل ذهبتِ الى هناك مرة أخرى ؟

تلألأت العبرات في عيني شمس وهي تجيب جدها بالايجاب فزفر الجد فاقدا للأمل في حفيدته الصغيرة

فهيم : اتبعيني يا شمس أعتقد أنه علينا التحدث قليلا ، وأنت يا عزيزتي اعدي لنا الغداء ولا تقلقي على حفيدتك

صعد الجد الى غرفة شمس في الطابق العلوي وتبعته هي حتى استقرا فوق الفراش يتحدثان

فهيم : يمكنك التحدث

شمس : ليس لدى ما أتحدث عنه

فهيم : ألا تريدين الاعتذار ؟

شمس : لما أعتذر ؟ لقد علمتنى يا جدي أن أعتذر عندما اخطأ وأنا لم اخطأ ، أعنى لم اخطأ عندما ذهبت الى الكهف ، قد اكون مخطئة في مخالفة أمرك لي بعدم الذهاب ولكني لم اخطأ على وجه العموم ، لماذا لا يمكنني الذهاب ؟ ما السئ في الكهف بالضبط لتمعني من الذهاب إليه ؟ لا يمكنك أمري بعدم الذهاب إليه دون مبرر أو سبب ، أليس كذلك يا جدي ؟

زفر فهيم بحنق ثم نظر الى صغيرته العنيدة : بلا هو كذلك يا شمس ، لذا أنا أجلس معك الآن لاخبرك بقصة ذلك الكهف المغلق

انتبهت شمس لجدها الذي شرع في قص الحكاية من بدايتها : بدأت القصة منذ زمن طويل للغاية منذ مئات السنين كان هناك تنين عملاق يعيش أعلى الجبل ، وعلى الرغم من حجمه العملاق وهيئته المخيفة الا انه لم يؤذي البشر قط ولم يقترب من القرية ابدا ، حتى صعد القروييون الى أعلى الجبل وبدأوا في ازعاجه والتطفل على مساحته الشخصية ، وفي احد الأيام ضل طفل من أبناء القرية طريقه

في الجبل ولم يتمكن من العودة الى منزله ، وعندئذ رآه التنين من بعيد وحاول مساعدته ولكن الطفل ارتعب عندما وجده أمامه وحاول الهرب منه ولسوء حظه ازلقت قدمه وسقط من أعلى الجبل ومات

ظن القروييون وقتها أن التنين هو من قتل الصغير فذهبوا لينتقموا منه وكلما حاول التنين الدفاع عن نفسه اذى القروبين وجرحهم بسبب حجمه وهيئته حتى أتى هذا اليوم وقام القروييون بإذاء التنين وجرحه بشدة بأسلحتهم وأثناء دفاعه عن نفسه قام بقتل العديد منهم ، ومنذ ذلك الوقت بدأ العداء بينهم وزاد قتالهم وتحول الأمر الى مذبحة ، البشر قاموا بجرح التنين بشدة وعنف والتنين قام بقتل القروبين بوحشية

كانت شمس تنصت الى جدها ومعالم الصدمة ترتسم بوضوح على وجهها لتزداد حدة عندما أكمل الجد سرد القصة

فهيم : بالطبع لم تكن قوة القروبين تكافئ قوة التنين فقد كان يفوقهم بعدة مراحل بسبب ضخامته وجسده الصلب فلم يتمكنوا من هزيمته لذلك استعانوا بالسحرة لقتاله ولكن السحرة لم يستطيعوا التغلب

عليه أيضا فقاموا بختمه داخل كهف مسحور لا يستطيع البشر الدخول إليه ، هو هذا الكهف أعلى الجبل ، ومنذ هذه الحادثه بات سكان القرية خائفين من التنين وقاموا بنشر الكثير من الشائعات عنه لهذا لم يقترب احد من الكهف مرة اخرى ومنع الجميع أبناءهم من التجوال بقربه كذلك خوفا من أن يصيبهم أذى منه أو انتقامه كما أشاعوا

أنهى الجد كلماته ثم نظر الى شمس وقال : افهمتى الآن لماذا منعتك من التجول في الجبل ؟

أجاب شمس والعبرات تتساقط من عينيها : ولكن يا جدي أليس هذا ظلم للسيد وسيم ؟ إنه ليس بشخص سيئ على الإطلاق ، لقد رأيته بنفسي وتحدثت معه عدة مرات ، إنه لطيف للغاية وطيب القلب رغم لسانه السليط إلا أنه لم يحاول ايذائي قط

فهيم : عزيزتي شمس نحن لا نعرف الحقيقة كاملة وما نقل إلينا ما هي إلا قصص تناقلها الناس من جيل الي جيل ، فلا ندري من هو الخير ومن هو الشرير لذا ارجو منك ألا تذهبي الى الجبل مرة آخرى ، هذا آمن لك ولكي تطمئن قلوبنا كذلك ، هل اتفقنا ؟

شمس : ولكن يا جدي

فهيم : أنا أقدر تماما ما تشعرين به ولكن أرجوك نفذي ما طلبته منك دون نقاش وحاولي أن تتقبلي الأمر فهذا أفضل للجميع

حركت شمس رأسها تبدي موافقتها على هذا الأمر ودموعها ماتزال تتلاحق دون توقف وهي تتساءل في خاطرها كيف تعرض السيد وسيم لكل هذا الأذى من البشر وفي النهاية يلقون بكامل اللوم عليه هو ؟

حقا إن البشر هم أكثر الكائنات ظلما على وجه الأرض

*****

أما فوق الجبل فقد كان الساحر أسنا يتجول في الإرجاء باحثا عن الكهف المغلق برفقة مساعدة سقارة ، ولم يستغرق الأمر منهم الكثير من الوقت

فسقارة كان عالما بتفاصيل الجبل بشكل جيد وهذا ما ساعدهم للوصول بسهولة

أسنا : أخيرا الجبل المغلق ، لقد قطعت مسافة كبيرة للغاية حتى أصل إلى هنا

مد يده ومسد فوق حجارة الكهف ثم أردف : يبدو أن الأمر كان يستحق كل هذا التعب

نظر الى سقارة أمرا له : هيا بنا فمن هنا ستبدأ المتعة الحقيقية

أنهى كلماته القليلة ثم دلف إلى الكهف بخطوات حذرة وتبعه سقارة الذي بدأ الخوف يتسرب إلى قلبه بخلاف أسنا الذي اخذ يلتفت يمنة ويسرة بإعجاب باد بوضوح وهو يتمتم

أسنا : لا أصدق ما أشعر به ، كيف لأحدهم أن يصنع مثل تلك التميمة القوية ؟ يمكنني الشعور بها من هنا قبل الوصول الى قلب الكهف ، حقا إن

عظمائنا السابقون لا يمكن لأحد مضاهاتهم في القوة

استمع سقارة الى كلماته ثم أضاف : ولهذا حذرتك مما تريد فعله يا سيد أسنا ، ها قد رأيت بنفسك لو أبطلت التعويذة المحيطة بالكهف سيكون من الصعب بل المستحيل تقيد الوحش مرة أخرى وقد يؤدي هذا إلى هلاكنا جميعا

أجابه أسنا بغرور سيؤدي الى هلاكه يوما : هذا إن كان الساحر أحدا غير أسنا ، فأنا هو ساحر هذا القرن وأقوى مخلوق بين الخلق

أنهى كلماته وشرع في التوغل اكثر بين كنفي الكهف حتى استقر أخيرا أمام العملاق النائم وهنا لم يتمكن من جمح اندهاشه وطمعه الذي قدحت بيه عيناه وهو ينظر إليه

أسنا : لا أصدق ما أرى ، أخيرا بلغت مرادي ووجدتك أيها الأسطوري

أقترب سقارة من أسنا وطبول قلبه تقرع نوتات الخوف وهو ينظر الى التنين المكبل بالحديد ، وعندما شعر بهم فتح سوداوتاه لينظر بهما بقوة تجاههم وتحدث بصوت مخيف شابه فحيح الأفاعي

وسيم : أيها الاوغاد كيف تجرؤون على الدخول الى كهفي ؟

أسنا : يبدوا أننى سأحصل على متعة أكبر مما كنت أتخيل ، أهلا بك أيها السيخريدس الأسطوري ، أنا أدعى أسنا أعظ____

لكن قبل أن يتم خطابه استوقفه صراخ وسيم الهادر وثورته الجحيمية

وسيم : أخرس أيها الحقير فليس من الشرف لي أن أتعرف على ساحر لعين مثلك

تبسم أسنا بتعجب وهو يتساءل : كيف عرفت أننى ساحر ؟

وسيم : لا أحتاج الى مجهود كبير حتى أتعرف عليكم فرائحتكم المنتنة وأجسامكم النجسة تبدوا لي بوضوح مثل فلق الصبح

أسنا : هذه إساءة بالغة للسحرة أيها السيخريدس ، أنت تجرح مشاعرنا بهذه الإهانات

وسيم : تبا لك ولأمثالك ، هذا لا يعنيني في شئ ، ومن الأفضل لك أن تغرب عن وجهي قبل أن اقتلك وهذا الغر الذي تصحبه معك

نظر أسنا الى سقارة الذي يشاهد ما يحدث بصمت وتخوف من الآتي ليصل إليه صوت أسنا يأمره بالاقتراب والشروع فيما لا يرجو حدوثه من البداية

*****

في صباح اليوم التالي انتشر خبر ذهاب شمس إلى الجبل ودخولها إلى الكهف المغلق وهذا ما أثار حفيظة القرويين ودب الرعب في قلوبهم من أن

يحل بهم الهلاك كما حدث مع أسلافهم من قبل ، وهذا ما دفعهم جميعا رجالا ونساء إلى الاحتشاء أمام بيت الجد ومناقشة الأمر معه ، أو بمعنى آخر إلقاء اللوم عليه والثورة في وجهه

صاح أحد الرجال بصوت جهوري يحث الجد على الخروج إليهم : أيها الجد فهيم أخرج إلى هنا ، انظر إلى ما سيحل بنا وبقريتنا بسبب حفيدتك الرعناء ، أخرج أيها العجوز

خرج الجد فهيم من منزله يرمق القرويين بنظرات متعجبة فلم يسبق وأن تحدث إليه أحد بتلك اللهجة الوقحة

فهيم : ما الأمر أيها السادة لماذا تحتشدون أمام منزلي هكذا ؟

أجابه أحد القرويون بلهجة حادة : تسأل عن سبب تواجدنا كأنك لا تدري

أردف اخر : سيد فهيم لقد سكنا هذه القرية لعدة سنوات ولم يسبق لنا أن حدث معنا مع يحدث الآن بسبب حفيدتك

اردفت سيدة أخرى : إن حياتنا وحياة أولادنا باتت في خطر وكل هذا بسبب تهور فتاة شابة لا تستطيع التميز بين الخطأ والصواب ، سيحل علينا الهلاك جميعا

تداخلت الأصوات وتعالت الصرخات وفهيم يقف مكبل اللسان عاجز عن الرد فهو يدرك تماما حجم الكارثة التي قد تحدث بسبب خطأ حفيدته الصغيرة ، تقدم أحد القرويين واضاف : ما الذي سنفعله إذا تحرر هذا المخلوق المتوحش أيها الجد ؟

أجابته امرأة أخرى : لا يمكننا البقاء صامتين حتى يتحرر ، سيكون هذا بمثابة انتظار حكم الإعدام علينا جميعا

امرأة أخرى : علينا فعل شئ ما لا يمكننا الجلوس هكذا دون حراك

فهيم : اهدأوا قليلا أيها السادة

أجابته امرأة أخرى : نهدأ ! كيف تطلب منا أن نهدأ وحياتنا وحياة أطفالنا في خطر ؟

أضاف رجل آخر : علينا قتل هذا الوحش قبل أن يقوم بقتلنا

أيد الجميع قول الرجل واضاف آخر : إنه الآن ضعيف للغاية تحت تأثير التعويذة السحرية علينا انتهاز تلك الفرصة وقتله قبل أن بتحرر ويستعيد قوته بالكامل ، حينها لن يتبق في القرية مخلوق إلا وسيقوم بقتله

أيد الآخرون رأي هذا الرجل وهموا جميعا لتنفيذ ما قاله وقد حاول الجد فهيم منعهم من ذلك إلا أنهم لم يعبئوا به وتوجه كل فرد إلى منزله يجمع ما بوسعه من الأسلحة استعدادا لقتل التنين وسيم

****

كان هذا على مرأى ومسمع من شمس التى كانت تقف أعلى الدرج تستمع لحديث أهل القرية مع جدها ووجنتيها ملطخة بالدموع التى تسيل خوفا على السيد وسيم من أن يصيبه ما عزم عليه القرويين ويقتل

وبدون تردد خرجت شمس من الباب الخلفي للمنزل تركض في هلع متجهة نحو الكهف مباشرة وماتزال الدموع تشق وجهها بكل تجبر

شمس : ما الذي علي فعله الآن ؟ يجب ان أخبر السيد وسيم بما يحدث ، علي حمايته واخراجه من هناك

ولم تكد تنهي جملتها حتى سقطت أرضا وجرحت قدمها بشدة لتزداد دموعها وألم قلبها ولكنها لم تتوقف بل نهضت مرة أخرى وواصلت الركض حتى بلغت الكهف أخيرا فدلفت إليه وقلبها يقرع طبول القلق والألم وهي تهتف بكل ما أوتيت من قوة

شمس : سيد وسيم سيد وسيم عليك المغادرة بسرعة

أنهت كلماتها عند وصولها إلى قلب الكهف حيث يمكث وسيم وعلى خلاف توقعاتها لم تجده جالسا بهدوء يستقبل إزعاجها بصدر رحب كعادته بل ذهلت مما رأت ، الكثير من الاوتاد الخشبية الغريبة مفرقة في الارض واضواء وروائح مريبة والسيد وسيم لا يبدوا بحال جيد فهناك سائل غريب يغطيه بالكامل ويبدوا من مظهره وكأنه خاض معركة طاحنة لتوه

شمس : وسيم

هكذا صرخت شمس وهي تركض تجاه التنين تتلقف وجهه بين كفيها الصغيرين ليصل إليها صوته المتحشرج : أيتها الجنية ما الذي جاء بكِ الى هنا الآن ؟

شمس : ما الذي يحدث هنا ما الذي أصابك لماذا تبدوا بهذا الوهن ؟

وسيم : عليك الهرب من هنا المكان خطر عليك

لم تعي شمس بالضبط ما يريد وسيم إيصاله لها ، لماذا الكهف خطر عليها وهي التى أتت إليه مرات لا يحصى عددها ، ولسوء حظها لم يطل تساؤلها وجاءها الجواب واضحا صريحا من بين شفتي هذا الساحر

أسنا : أخيرا أتيتِ لقد انتظرتك كثيرا أيتها القربان الطاهر

أدارت شمس وجهها ناظرة الى هذا الرجل المخيف الذي ينظر إليها بنظرات ارعبتها وما زاد وجلها محاولة ضم وسيم لها وكأنه يحاول اخفاءها عن الرجل

همست شمس بخفوت : ما الذي يحدث سيد وسيم ؟

أجابها أسنا الذي لا تدري كيف سمع صوتها

الخافت : سأخبرك أنا بما يحدث ، هنا وداخل هذا الكهف تحديدا تكمن أكبر قوة على وجه الأرض ،

سيخريدس عملاق مسحور يملك قوى كفيلة بتدمير القرية في غمضة عين وهذه القوة لا تليق إلا برجل عظيم مثلي لذا سأقوم بتدمير التعويذة والسيخريدس معا واحصل أنا على تلك القوة لأصبح أقوى ساحر على وجه الأرض

قضبت شمس حاجبيها وهي تحاول إخفاء التنين العملاق خلف ذراعيها النحيفين : هذا لن يحدث لن أسمح لك بإيذاء السيد وسيم

قهقه أسنا بصوت مرتفع ساخرا من تلك الصغيرة الساذجة وهو يخبرها بما سيصعق قلبها الصغير ويغير تفكيرها

أسنا : يالكِ من فتاة ساذجة للغاية هل تدركين حقا ماهية الكائن الذي تدافعين عنه ؟ هل تعرفين ما الذي كان يخطط لفعله بكِ ؟

صدح صوت وسيم الهادر يجلجل في أرجاء الكهف : توقف

أسنا : لماذا هل تشعر بالقلق من معرفتها للحقيقة ؟

نظر أسنا الي شمس التى لا تفهم ما يحدث من حولها ثم تحدث

أسنا : أتدرين أيتها الصغيرة كيف يمكن كسر تلك التعويذة التى تحيط بالكهف ؟

حركت شمس رأسها يمنة ويسرة دلالة على عدم معرفتها ليجيبها هو : بإحدى طريقتين إما بقوة التنين وللحقيقة لا أدري تماما كيفية تلك الطريقة ، والأخرى بتركيبة سحرية ظللت عمرا كاملا أعد مكوناتها حتى اكتملت ولم يعد ينقصها سوى شئ واحد فقط وهو نفس الشئ الذي كان سيستخدمه التنين لتحرير نفسه ، أتدرين ما هو ؟

نظرت له شمس بتعجب بالغ وجهل وفزعت عندما صاح وسيم مرة أخرى : أخبرتك أن تتوقف

لم يأبه له أسنا واردف مرة أخرى : المفتاح

رددت شمس بتعجب : المفتاح ؟

أسنا : دماء فتاة عذراء طاهرة لم يمسها رجل ، هذا هو المفتاح الذي سيكسر التعويذة ولكن من أين للتنين بدماء عذراء وكل أطفال القرية محرم عليهم صعود الجبل ؟

هنا تماما دب الرعب في قلب شمس وهي تنظر الى أسنا تارة والى وسيم تارة أخرى وعقلها يرفض تصديق ما يرمي إليه هذا الرجل المريب

****

في القاهرة كانت السيدة زهور تعد الإفطار تستقبل يومها بطاقة وإيجابية فقد اعتادت منذ الصغر أن تمنح نفسها الحب والتشجيع ولكن اليوم قلبها غير مطمئن تشعر بخطر شديد يحدق بصغيرتها ، جلست ووضعت يدها فوق قلبها واستعاذت بالله من الشيطان الرجيم وحاولت طرد تلك الأفكار السلبية عنها

خرج السيد رياض من المرحاض يجفف وجهه من الماء وما أن رأي مظهر زوجته حتى ركض نحوها يحاول الاطمئنان عليها

رياض : عزيزتي ما الذي أصابك ؟

زهور : قلبي يؤلمني بشدة أشعر بالقلق على شمس

رياض : اهدئي قليلا يا عزيزتي شمس بخير في كنف جدها ما الذي يجعلك قلقة الى هذا الحد ؟

بدأت دموع زهور تترقرق فوق وجنتيها والغصة في قلبها تزداد فما كان من رياض سوى مهاتفة صغيرته علهم يطمئنون عليها ولكن هذا لم يزدهم الا قلقا فشمس لم تجب هاتفها وكذا الجد والجدة

زهور : أرأيت ؟ أخبرتك أن هناك شئ سئ يحدث ، علينا السفر حالا الى القرية ، أريد الاطمئنان على صغيرتي ، أرجوك يا عزيزي

وافق رياض طلب زوجته فهو أيضا أصبح قلقا للغاية على صغيرته ونهض الإثنين يضبان اغراضهما استعدادا للسفر

****

ماتزال شمس تحملق في أسنا هذا الرجل الذي نعتته بالجنون فهو لم يفتأ يذكر أمور غريبة والمخيف في الأمر عدم نفي وسيم لما يقول بل يشتاط غضبا مما يدل على صدق ما يقال

شمس : سيد وسيم هل هذا____

لم تنتهي شمس من طرح سؤالها حتى سمعت أصوات القرويين الغاضبة تملأ المكان وبدأوا في الولوج إلى الكهف واحدا تلو الآخر

رجل : هذا هو يا رجال

قالها أحد الرجال وهو يشير إلى وسيم الذي يتوسط الكهف وشمس تجلس أمامه لا تدري ماذا عليها أن تفعل الآن هل تدافع عنه أم تتركه عقابا له على ما كان يخطط لفعله بها

اصطف الرجال والنساء جميعا ونواياهم بادية بوضوح من نظراتهم

قالت امرأة : يبدوا أن ما ظنناه كان حقيقة تلك الفتاة هنا تحاول فعل شئ ما

امرأة أخرى : يالك من رعناء ما الذي تحاولين فعله أيتها الحمقاء ؟ ألا تكفين عن افتعال المشكلات ؟

علت أصوات القرويين ولم يجد أسنا فرصة أفضل من تلك ليصطاد في المياه العكرة ويخلق الفتنة بين الناس

أسنا : أيها الناس أنا ساحر من نسل عظمائنا الذين قاموا بقمع شر هذا الوحش وسجنه هنا وأنتم أنصار السابقون ، منذ قدومي الى هنا وأنا أراكم بمثابة عائلتي والآن هذا الوحش يحاول كسر التعويذة ويقول أننى وحيد لا أستطيع إيقافه وأنى كذلك حقا إن لم أجد فيكم عونا وسندا فهل ستركون هذا الوحش حتى يقضي علينا جميعا أم ستهبون لنصرتي والقضاء عليه

أحد الرجال : والله لا نتركك وحيدا

رجل آخر : جميعنا بنصرتك أيها الساحر

تعالت الهتافات وشحنت النفوس بالغضب ورغبة الانتقام وبدأ القرويين في الاقتراب من وسيم مضمرين الشر له وأسنا يقف جانبا يشاهد هذا العرض الدموي المحبب الى قلبه

أما عن المسكينة شمس فعندما حاولت إيقاف أهل القرية ومنعهم من وسيم لم تنل سوى السب والضرب وهناك من قال أن عليها أن تقتل مع

التنين لأنها السبب في جميع ما يحدث وقد ايده بقية الناس ووافقوه الرأي

أما وسيم فبالرغم من هوانه - الذي تسبب به ذلك السائل السحري الغريب والطقوس التى مارسها عليه أسنا طوال الليل- إلا إنه حاول جاهدا أن يحمي صديقته الجنية الصغيرة ويفديها بجسده الضخم حتى لا يصل إليها أذى القرويين إلا أن الكثرة تغلب الشجاعة دائما فقد ألتف حوله جميع الناس من كل الاتجاهات وبدأوا في ضربة كلا بما يملك من سلاح ، سيف منجل جرافة وغيرها من الأسلحة ، وعلى حين غرة قام أحد الرجال بطعن وسيم برمح قوي جعله يتلوى من الألم وصراخه يملئ المكان وللحظة واحدة أبتعد عن شمس وكانت تلك اللحظة كافية لإحدى السيدات التى اشتاطت غضبا وقامت برفع الخراشة التى تحملها وصفعت بها شمس فجرحتها بعنف

سمع وسيم صرخة شمس المتألمة فالتفت إليها سريعا وجذبها نحوها يطمئن عليها إلا أن السيف قد سبق العذل وتأذت المسكينة بشدة

وسيم : أيتها الجنية

نظرت له شمس بعيون دامعة وقالت بصوت متألم حزين : أحقا كنت تنوي التخلص مني لتتحرر من التعويذة ؟

وسيم : ليس هذا وقت الحديث الآن ، عليك الهدوء قليلا

في تلك الأثناء وصل الجد أخيرا الى الكهف بعد أن واشكت روحه على مغادرة جسده الكهل أثناء تسلقه الجبل العملاق ، وما ان دلف الكهف حتى رأى صغيرته مستلقية أمام التنين ويبدوا أن سوءا قد ألم بها فلم يلبث حتى هرول إليها ينطق حروف اسمها بوهن وقلبه لا يكف عن النبض مرتعدا مما يراه ويشعر به

فهيم : صغيرتي شمس

أحد أهل القرية : لا تقترب منها أيها العجوز الخرف سيقتلك التنين إن اقتربت أكثر

صاح فهيم ودموعه بدأت في شق وجهه المجعد : لماذا فعلتم ذلك ؟ ما الذي فعلته لكم تلك الطفلة حتى تقوموا بإيذائها بتلك الطريقة ؟ بأي ذنب فعلتم هذا بها ؟

حل صمت شديد على الكهف عقب صرخات الجد لتنظر شمس الى وسيم وتتجاهل جل ما يحدث من حولها وتسأله بهوان

شمس : أجبني ايها السيخريدس هل كنت ستقتلني حقا ؟

وسيم : كنت سأفعل ، أجل ، عقدت العزم على ذلك عندما شعرت بصعودك الى كهفي ، لكن عندما رأيتك أول مرة اشفقت عليك فقد كنت متعبة وجريحة لذا ساعدتك على الهبوط أسفل الجبل

بإحدى التعويذات ولم اتخيل إنك قد تعودين الي مرة آخرى لكنك فعلت ، حينها جددت نيتي على قتلك وتحرير نفسي من هذا السجن الذي مكثت فيه عقود لكني لم استطع ، براءتك ولطفك أسرى قلبي ولم يطاوعني قلبي على ايذائك لذا قررت الاكتفاء برؤيتك وسماع قصصك المزعجة عن العالم الخارجي ، كان هذا أكثر من كاف بالنسبة لي ، أجل هذا ما حدث

تبسمت شمس بوهن فقد ارضت تلك الإجابة قلبها البريء ثم اردفت

شمس : وها أنت قد حصلت على ما كنت ترجوا منذ سنين أيها التنين

لم يفطن وسيم فحوى كلامها إلا عندما شعر بدمائها الساخنة تتدفق تحت يده ليدرك إنها نزفت الكثير من الدماء إثر إصابتها منذ قليل

وسيم : أيتها الجنية

شمس : الجنية ساعدك الوسيم على التحرر من الأسر أعتقد أن هذه نهاية جميلة لحكايتي

انتهت كلماتها ببسمة ليلحقها اهتزازة قوية وزلزلة فزعت قلوب جميع أهل القرية ، ثم بدأت الطلاسم المحيطة بوسيم في التوهج باللون الدموي وزادت حرارة الكهف الذي بدأ في الانهيار معلنا عن انتهاء أسر المتوحش الذي سيعود منتقما مرة أخرى ممكن قاموا بإيذائه

****

استقل السيد رياض وزوجته السيدة زهور أول قطار متجه الى المنيا ولم يستغرقا الكثير من الوقت حتى اقترب القطار من وجهتهما إلا أن ما رأوه زاد القلق على صغيرتهم ، فقد شاهدوا من بعيد الكثير من أسرب الطيور تحلق والغربان تنعق وكأنها تبشر بنذير سوء

نظر رياض من نافذة القطار بتعجب : ما الذي يحدث هناك ؟

وسريعا ما جاءه الجواب عندما شعر بهزة أرضية شديدة توقف بسببها القطار على الطريق مما دل على حدوث كارثة كبيرة

****

أما عن التنين خاصتنا فقد كسرت التعويذة التى أسرته لسنوات لا يعرف أحد عددها ليتحرر جسده الضعيف ويتحول الى تنين عملاق مهيب لم يستطع الكهف استيعاب حجمة فبدأ بالانهيار فوق رؤوس واردیه ليزداد الصراخ ويركض الجمع كل يصيح نفسي محاولا إنقاذها من الموت

أما الصغيرة الجريحة فلم تبذل أدنى مجهود لحماية نفسها فقد تكفل بذلك وسيمها العملاق الذي حنى عليها وتلقفها فوق أحد جناحية ليحلق بها في الآفاق يزمجر بكل ما أوتي من قوة وكأن هناك حمم تتدفق بداخله

وبعد عدة جولات من وسيم فوق القرية الصغيرة عاد مرة أخرى الى الجبل وهبط أمام الجد -الذي نجى بأعجوبة– ووضع حفيدته الصغيرة أمامه ليتلقفها الجد بيدين مرتعدة

ولكن سعادة وسيم بحريته لم تستمر طويلا حتى أتته رصاصة الغدر من بندقية أحدهم ولم يكن سوى الساحر اللعين الذي صوب عدة رصاصات تجاه وسيم فأخطأته بعض منها وأصابته أخرى كانت كفيلة بجرح وسيم وايذاءه بشدة

حلق وسيم مرة أخرى وهو يزمجر ويصرخ بصوت دب الرعب في قلوب الجميع ليتحول المشهد كحدث مألوف لبعضهم ، سماء قرمزية ورياح عاتية وتنين عملاق يحلق في الأفق يصرخ بصوت جهوري متوعدا بهلاك البشر ، نفس الحدث بأشخاص مختلفين لكن ما تيقن منه الجميع أن القرية ستباد هذه المرة ولن يجدوا قوة تتصدى للتنين الثائر

ودون أدنى تردد وبكل ما اوتى السيخريدس من القوة قام بقتل الساحر وفصل رأسه عن رقبته بضربة واحدة جعلت أهل القرية يصرخون ويركضون هنا وهناك ، وقبل أن يشرع التنين في اهلاك القرية كما عزم واتمام ما بدأه ، ومن بين كل تلك الصرخات سمع همس لطيف رقيق حاولت الرياح يائسة ان تخفيه لكنه وصل إليه واضحا يعرف طريقة تماما الى قلبه ، هي جنيته الصغيرة تنطق حروف اسمه السخيف الذي اطلقته عليه سابقا

شمس : وسيم لا تفعل أرجوك

وياله من رجاء لا يستطيع رده فقد حركه قلبه تلك المرة ليهبط إلى الجبل مرة آخرى مستخدما قواه السحرية ليتحول الى بشري انطبق عليه اسمه تماما ، شاب ضليع الجسد وسيم الوجه طويل القامة ، اقترب من شمس بوهن حل به من الرصاص الذي أصابه

وسيم : أيتها الجنية أمازلتي تنعتيني بهذا الاسم ؟

شمس : تبدوا لي أكثر وسامة الآن أيها الغامض الوقح

تبسم وسيم ثم وضع يده فوق ذراع شمس المصاب وتمتم بعدة كلمات لم تفقه ما هي تماما ولكنها شعرت بالتحسن عقبها وجرح ذراعها بدأ بالالتئام هو الآخر ، أنهى وسيم ما يفعله ليستلقي فوق الأرض يلفظ أنفاسه بصعوبة

شمس : سيد وسيم ، أنت بخير ؟

وسيم : لست كذلك

همست شمس بخفوت : آسفة

وسيم : لماذا أنتِ أسفة ، كل هذا ليس خطأك أنت لم تقترفي أي ذنب لذا ليس عليك أن تكوني آسفة أيتها الجنية

أقترب أحد الرجال مستغلا ضعف وسيم وحاول قتله إلا أن شمس قد دافعت عنه وشرعت في الصراخ

شمس : توقفوا ، أرجوكم توقفوا ، إنه لا يريد ايذائكم لذا أرجوكم ابتعدوا عنه

وسيم : يبدوا أننى صنعت عداوة بينك وبين أهل القرية أيتها الفتاة ، اعذريني

تلألأت العبرات في عيني شمس لينظر إليها وسيم بابتسامة مشرقة لم ترها من قبل ورفع يده يمسد فوق وجنتها بلطف وهو يتمتم

وسيم : الوقت الذي قضيته معكِ لقد كان ممتعا للغاية ، لقد تمكنتِ من تحويل عالمي من الوحشة والألم الى عالم برّاق لامع يشبهك تماما ، وفي النهاية قمتِ بتحريري تمام من قيودي واعدتني الى السماء الزرقاء مرة آخرى ، شكرا لكِ على منحي تلكِ اللحظات الجميلة وشكرا لكِ على تبسمك الدائم في وجهي ، شكرا لكِ ، لأنكِ كنتِ هنا

شمس : أرجوك توقف

وسيم : لقد فات الأوان أيتها الجنية

انفرط عقد من الدموع المتلألئة من عيني شمس توافقا مع سقوط يد وسيم أرضا ، أخيرا وبعد الكثير من المعاناة والصراع سقط هذا الكيان ممددًا على الأرض لافظا أخر أنفاسه

.

من غير كلمة ولا تلويحة وداع يختفي المشهد بأكمله وتطوى الحكاية تحت أقدام الألم

****

ما الذي حدث بعد هذا يا أمي ؟

قالها طفل شديد الوسامة وهو ينظر إلى والدته ينتظر بلهفة بقية الحكاية التي تسردها والدته عليه هو وإخوانه الصغار

تبسمت الأم بهدوء وهي تقوم بإطعام رابع طفل لها وهي فتاة جميلة تشبهها تماما ذات شعر بني كثيف وعينان بندقيتان

شمس : ألم تمل من تلك القصة يا أنس لقد قصصتها لك عدة مرات سابقا ؟

انس : كلا لم أفعل أرجوك أكملي لنا بقية الحكاية ما الذي حدث للتنين بعد ذلك ؟

أخذت شمس نفسا عميقا وهي تنظر الى السماء الزرقاء والطيور التى تحلق مقرنة جناحيها بنسمات الهواء العليل تتبسط هذا الرداء الأخضر الممتد على مد البصر في مشهد يجعل شمس تسترجع ذكريات مر عليها أكثر من عشرين عاما

أنتظر الأولاد ما ستنطق به والدتهم وهم يشعرون أن القادم سيكون دراميا للغاية لكن ذهبت كل أحلامهم في مهب الريح وهم يشاهدون والدتهم تنهض من فوق الكرسي وتصرخ كعادتها

شمس : أيها السيخريدس المغفل ، توقف عن اللعب في موقد الطعام وإلا

أتاها الرد سريعا من رجل وسيم يخرج من المطبخ : وإلا ماذا ، توقفي عن الصراخ في وجهي هكذا فلا تتناسي أنى أكبر منكِ___

قاطعته شمس وهي تتوسط خصرها بكلتا يديها : أكبر ماذا ؟

تبسم الرجل واردف : أكبر سيخريدس مغفل أحب جنية صغيرة بلهاء

ضحكت شمس وهي تنظر الى وسيم وتذكرت كيف كان على شفا حفرة من الموت إلا أنها أصرت على إنقاذه وعانها الساحر سقارة الذي شرط عليهم أن يساعده مقابل أن يدعوه وشأنه ولا يؤذوه وقد وافقوا ، ليقوم باستخدام السحر السفلي ومعالجة وسيم باستخدام قوة التنين التى استنفذت بالكامل ليبقى عالقا في جسد البشري الى الأبد

ومرت الأيام وشمس ماتزال تعتني بوسيم حتى شفيت جراحه تماما وعاد ليقف على قدميه من جديد وعاش لسنوات مع الجد فهيم وزوجته يساعد أهل القرية ويخدمهم حتى يثبت لهم أنه لم يعد خطرا عليهم ولم يعد يضمر لهم أي ضغينة

وتزوج بشمس بعد عدة سنوات بعدما أنهت دراستها وعاشا معا في الكهف المغلق بعدما حوله وسيم الى منزل جميل يخطف الأنفاس ليكون شاهدا على نهاية قصتهم كما كان شاهدا على مولدها

وسيم : فيما تفكرين ؟

قالها وسيم عندما لاحظ شرود شمس الطويل لتنظر إليه وهي ترسم تلك الابتسامة السخيفة التى لم تفارقها رغم مرور السنين

شمس : أتذكر كيف عانيت كثيرا حتى وافق جدي ووالدي على زواجي بك

أمسك وسيم يدها يوسمها بعدة قبلات حانية : ولكم كنت محظوظا بموافقتهم ، فقد حصلت عليكِ أيتها الجـــ

صمت هنيهة ثم أردف : يا شمسي

ابتسمت شمس بسعادة ومن حولهما ألتف جميع أولادهم الأربع لتكتمل تلك اللوحة الجميلة للأسرة السعيدة

تمت

والى هنا عزيزي القارئ عزيزتي القارئة تنتهي رحلتنا على متن جناحي السيخريدس الخيالي

أتمنى أن تكون القصة قد نالت رضاكم

أراكم في عمل جديد متواضع

.

مع تحياتي/ مريم محمد عبد القادر